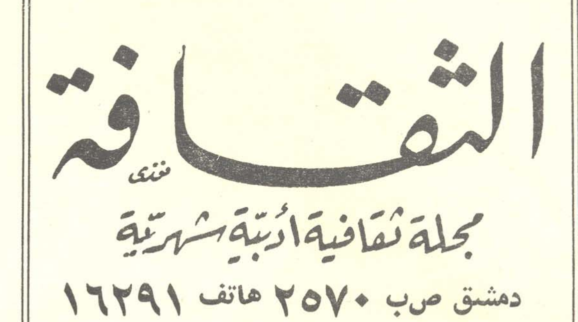
صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE



آذار (مارس)
١٩٦٠
العدد العاشر
السنة الثانية

« بدم الضحايا سوف نوقدها »

شعر : الامير صقر القاسمي

لا .. فليثيروا الجو عاصفة ... لا فلتمج يالـجّ باللهب

لا ... فلتسود الكون داجية ... محمومــة تنهلّ بالغضب

لا . فليسدّ الدّرب مندفعاً ... حمماً بجيش الغاصب اللجب

سنعانق العليا ونحضنها ... بذراع كل مسوّد عربي

ستشق في الموج السفين بنا ... ونردّ سورتها الى اللعب

ستنير للأجيال سيرتنا ... بالهدى بالبارود بالقضب

سنعلم الطاغي بان لـه ... يوماً واماّ جدّ في الهرب

(ستكون بغداد التي حلموا ... في عرشها بغداد للعرب)

(يسرى الغناء بكل حنجرة ... مشبوبة عزّت على النوب

يسرى) وما فاهت بها شفة ... الا وغنى المجد من طرب

كالطود لا التعذيب زلزلها ... أبداً وما أنّت من النصب

يالفتاة تهدّ صامته ... جيش الطغاة وحلم كل غبي

بالأوحد الطاغي وزمرته ... سخرت بعزم المرأة الذرب

يسرى وحقك سوف نوقدها ... في كل منخفض ومرتقب

(ستكون بغداد التي حلموا ... في عرشها بغداد للعرب)

العقيدة القومية حقيقة بديهية

بقلم

عبد الرزاق البصير

في رأينا أن فهم العقيدة القومية من الامور البسيطة التي لايحتاج الانسان الى أن يبذل الا جهدا قليلا من التفكير للتوصل الى فهمها وادراكها لانها نابعة من ذات الانسان ووجوده ، فهي وان كنت تعتمد على حقائق علمية مقررة توصل اليها علماء الاجتماع الا أنها تعتمد كذلك على هذا الشعور الداخلي القوي الذي يحس بها الانسان نحو امته ووطنه . فالعربي لا يكاد يسمع بأن قطرا عربيا قد حلت به كارثة او ادرك انتصارا الا ويشعر بأنه متصل اتصالا قويا بسكان ذلك القطر يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم وسنوضح هذا بعد حين .

غير أنا قد استغربنا كثيرا عندما قرأنا ما كتبه حضرة الدكتور « محمد زغلول سلام » في مجلة الشهر العدد السادس أغسطس ١٩٥٨ ، استغربنا كثيرا لان ما جاء في هذا المقال متناقض بشكل غريب وقد جرت عادة العلماء أن لا يتحدثوا الى الناس الا بعد تفكير عميق لان لأحاديثهم منزلة كبيرة في قلوب الناس يقول الدكتور بعد مقدمة حاول أن يثبت فيها بأن الاسلام جزء متمم للقومية العربية « وهكذا اتسع مفهوم القومية العربية ، واتسعت رقعتها وانضم تحت لوائها جماعات من الناس مختلفة الجنس والدم واللون والوطن واللسان ،والرابطة الواحدة التي ربطت بينهم هي الانسانية ثم الاسلام فالعربية لغة وثقافة ومثالية .

فالتركي من أقصى التركستان ، والفارسي من فارس، والهندي من بلاد الهند ، والمغربي من المغرب ، والسوداني من السودان ، والمصري من مصر كل هؤلا على اختلاف ألوانهم ومشاربهم أصبحوا عربا ، تجمعهم القومية العربية كلهم يتكلمون العربية ، ويدينون بالاسلام — ومن لا يدين منهم يقرأ القرآن ، ويقف على تراث الاسلام في الفكر والادب — ويقيمون حياتهم على قيم موحدة وآمال موحدة » .

أليس من الغريب حقا أن لا يدرك رجل كالدكتور « محمد زغلول سلام » بأن القومية العربية لا يمكن أن تضم أجناسا مختلفة لأن كل عقيدة قومية نابعة من وجود أمتها ، فالترك يدعون الى القومية التركية ، والفرس يدعون الى القومية الفارسية ، والعرب يدعون الى القومية العربية ، لأن العقيدة تعتمد على اللغة والتقاليد والاخلاق، واللغة قبل كل شيء ، أليس من العجيب حقا أن لايدرك الدكتور بأن العقيدة القومية شيء وان الدين شيء آخر وان التركي يمكن أن يكون مسلما متدينا ولكنه مع ذلك لا يفهم اللغة العربية وقل مثل ذلك بالنسبة للفارسي والهندي ، وان التركي لا يمكن أن يصبح عربيا لأنه يقرأ القرآن أو يدين بالاسلام لأن ذلك يحدث لجماعات كثيرة في أمم كثيرة كالصين والروس والامريكان وغيرهم وما أظن في هذا القول غضاضة من شأن الاسلام او تصغيرا له وانما هي حقائق علمية يدركها الانسان بأقل تفكير وقد استشهد الكاتب « بالحروب الصليبية التي شنها الغرب المسيحي على الشرق العربي الاسلامي فقال : ترى ان العرب أثاروا روحهم القومية بنداء اسلامي ، ولم تكن الحرب في حقيقتها حربا دينية بقدر ما كانت حرب قومية . أتريدون الحق اني لم أفهم ما يريده

البقية على الصفحة (١٣)

المشكلة الاجتماعية*

نشأتها ـ تطورها وتعقدها ـ كيفية الوصول الى حلها

بقلم : عبد العزيز صرعاوي

تمهيد

من الصفات الاساسية للانسان أنه اجتماعي بطبعه لا يمكنه الا أن يعيش في جماعة أو كما عبر أرسطو عن هذه الصفة بقوله ان الانسان حيوان اجتماعي ، واذا كان الفرد وحدة المجتمع فالجماعة وحدته التنظيمية التي يعتمد عليها لحمايته وسد مطالبه وخدمته وتحقيق ذاته .

فالعيش في المجتمع شرط ضروري لاسباب الحياة . وهكذا تكونت الاسرة القبيلة فالقرية والمدينة والدولة فالمنظمات الدولية .

ولقد صاحبت المشكلات الاجتماعية الافراد والجماعات منذ أن وجدت الخليقة . فهي اذن ليست حديثة العهد أو وليدة هذا العصر الذي نعيش فيه بل انها في الحقيقة أمر لابد منه حيث أن طبيعة الحياة نفسها تفرضها فرضا وما اجتمع اثنان الا وقامت بينهما مشكلة بل مشكلات وهي عديدة ومتنوعة لاحصر لها ولا نهاية تتناول شتى نواحي الحياة المادية والروحية والاجتماعية . وما كفاح الافراد والجماعات بصورة مستمرة دائمة فيما بينهم هم أنفسهم ثم فيما بينهم وكل ما يحيط بهم ويتصل بحياتهم من أرض وسماء وبحر وأجواء ، الا دليل قائم على ما صادف الانسان من عقبات وصعاب ومشكلات في تحقيق المعيشة وتذليل اسباب الحياة الهانئة المستقرة السعيدة . واندماج الافراد في مجتمعات انما يعني الوصول الى حل هذه المشكلات أو على الاقل محاولة الوصول الى حلها بالعمل المشترك على تذليل صعاب الحياة وحل ما يعترض سبيلها من مشكلات كالجريمة والفقر وانخفاض مستوى المعيشة الى غير ذلك .. فما المجتمع في حقيقته الا مجموعة من الناس يعيشون في مكان معين تجمعهم فيه مصالح مشتركة منظمة بطريقة ما . وهؤلاء الناس أو الافراد الذين يضمهم المجتمع لكل منهم رغبات وميول ومطالب وحاجات . الا أن هؤلاء الناس تراضوا فيما بينهم واجتمعوا على مصالح مشتركة فاحتاجوا لذلك في حياتهم للنظام ولسيادة القانون وللتراضي وللتوفيق والتحكيم واختيار العادات والقيم .. وذلك حتى يمكنهم أولا تحقيق الانسجام والتلاؤم فيما بينهم وبالتالي يمكنهم متكاتفين أن يحققوا ما ينشدونه من تقدم ورفاهية وهذا مطلب لا يقف عند حد . وهكذا قيل بأن المشاكل تتجدد باستمرار مادام الانسان ينشد التطور من حال الى حال ومن حسن الى أحسن ...

فكيف تنشأ أولا هذه المشكلات وما الدوافع اليها ؟ وما أسبابها ؟ ثم كيف تتطور وتتعقد ؟ ثم أخيرا كيف يمكن التغلب عليها أو الوصول الى حلها ؟..

هذا هو في الواقع ما سنحاول الاجابة عليه في النقاط التالية :

١ ـ تعدد مطالب الفرد والمجتمع واشباعها

ان مطالب الانسان وحاجاته ورغباته لاتقف عند حد ولا تنتهي الى نهاية في مطالب مستمدة من طبيعته كانسان

(*) أتاحت لي فرصة اعادة المحاضرة في هذا الموضوع أن أعيد النظر فيما كتبته في الدورة التدريبية الاولى فعدلت وغيرت وأضفت في بعض نقاط البحث على ضوء ما استفدته من ملاحظات واستفسارات الزملاء المتدربين. وأسارع الآن لتسجيل شكري وتقديري لهم جميعا على ما أتاحوه لي من فائدة ..

أولا في حاجته الى غذاء وملبس وعمل وتعليم وحرية واطمئنان وسعادة ... الخ . وهي أيضا مطالب مستمدة ثانيا من طبيعته كانسان في جماعة يرتبط واياها بقيم ومثل وتراث مشترك وعادات وتقاليد ومعتقدات ونظم وقواعد وقوانين تربط الماضي بالحاضر ويمتد أثرها الى المستقبل أيضا ...

وهي أخيرا وثالثا مطالب واحتياجات مستمدة من بيئة الطبيعة أي من رقعة الارض يسكنها بدوره تأثير عليها .

فكل هذه القوى أو الدوافع هي التي تشكل في الحقيقة احتياجات المرء ومطالبه في هذه الحياة . وبالتالي فهي تدفعه ليلبي رغباته منها ويشبع حاجاته عن طريقها لا لكي يسد رمقه فحسب فهذا المطلب المادي في الوداقع جزء من جملة مطالب فهو يبحث عن سد احتياجاته وتحقيق مطالبه لكي يعيش ويتقدم ويرقى ويهنأ في عيشة حرة كريمة يسودها العدل والمساواة والاخاء وينفسح فيها له المجال للخلق والابتكار والتفنن والابداع والسيطرة على جميع القوى المحيطة به فيحقق ذاته بل ويخلد ذاته في البقاء أيضا .. وتلك في الواقع هي قصة الانسان في هذا الوجود فهو يسعى من حياة الى حياة أفضل وأسعد الى أن يرث الله الارض ومن عليها . ومن هنا قيل بأن من أخص خصائص المجتمع أنه لايثبت على حال ..

انما مهلا قليلا لنتساءل ترى هل الامر ميسر للفرد أو المجتمع بهذه السهولة كي يصل الى كل هذه النتائج من تقدم ورفاهية وسعادة وتعاون وانسجام ..

والواقع أن مدى تقدم كل مجتمع مرهون بمقدار تحكمه في القوى والدوافع الثلاث التي ذكرناها آنفا أو بالاحرى يتوقف الامر على مدى قدرة الفرد والمجتمع على التكييف والملاءمة بين تلك القوى وبين نفسه . وهو أن أخفق في هذا التكييف والتوفيق نشأت عنده المشكلة الاجتماعية . وهكذا تنشأ جميع المشكلات الاجتماعية وتتفاقم كلما أخفق المرء أو عجز عن التوفيق بين مطالبه واحتياجاته كانسان أو عجز عن التوفيق بين مطالبه وبيئته الاجتماعية بما يحكمها ويسود فيها من نظم وقواعد ومثل وقوانين وتقاليد أو بين مطالبه واحتياجاته وما يمكنه الحصول عليه من بيئته الطبيعية لسد تلك المطالب والاحتياجات .

وما مشكلات الفقر والبطالة وانخفاض مستوى العيشة وتعدد حوادث الطلاق والتشرد والجريمة والتصدع العائلي واشاعة روح الكراهية والبغضاء والصراع بين الطبقات وعدم التعاون وعدم الشعور بالمسؤولية تجاه الغير ، ماكل هذه المشكلات الا نتيجة لسوء التوفيق والملاءمة بين تلك القوى أو الدوافع التي تشكل احتياجات المرء ومطالبه وبين قدرته على سد تلك المطالب واشباعها .

٢ - أسباب المشكلات الاجتماعية

أما عن سبب اخفاق المرء في تلبية مطالبه وحاجاته وفي التكيف والملاءمة مع بيئته الاجتماعية والتحكم في بيئته الطبيعية فان ذلك قد لا يرجع الى قصور فيه هو ذاته وانما يرجع عدم التوفيق والملاءمة الى أمور وعوامل خارجية عن ذاته أيضا حالت دون الوصول به الى حالة من التلاءم الاجتماعي الذي يرضيه المجتمع الذي يعيش فيه . ومن هنا يمكن القول بأن عوامل ومسببات أي مشكلة اجتماعية لابد وأن تنحصر في عامين اثنين - عوامل شخصية ذاتية وعوامل خارجية . ففي حالة شخص متعطل مثلا قد نجد أن سبب تعطله راجع الى عامل خارجي ليس له يد في ايجاده كاغلاق المصنع أو الورشة التي يعمل فيها وعدم وجود فرص متعددة للعمل والكسب . وقد يرجع تعطله في الواقع الى سبب ذاتي في شخصه كقلة مهارته وخبرته بل انعدامها مع توفر فرص التعليم والتدريب له أو ربما تعددت فرص العمل أمامه الا أنه لظروف وعوامل شخصيه بذاته لايرى في مثل هذه الفرص ما يتناسب ومركزه الاجتماعي وذلك وفقا لمستويات مفاهيمه ومداركه فيظل والحالة هذه متعطلا .

وهذا هو الشأن بالنسبة لأي مشكلة من مشاكل الفرد والمجتمع اذ لابد فيها من وجود مسببات شخصية ذاتية

ومسببات خارجية موضوعية • وعلى هذا فان المشاكل الاجتماعية تختلف بالطبع بالنسبة لوجود أو على الاصح لبروز أي من هذه العوامل والمسببات فيها • ففي مشكلات الفقر والبطالة وانخفاض مستوى المعيشة تتغلب وتبرز هنا العوامل البيئية الخارجية اذ قد تكون هذه المشاكل نتيجة لقصور البيئة وشح الارض مع عدم اهمال الآثار النفسية بالطبع التي تحدثها مثل هذه الحالات في شخصية الفرد والمجتمع من سلبية وفتور وشعور بالنقص • بينما نلاحظ في حالات الاضطرابات وتصدع العلاقات انه يغلب فيها بروز العوامل الذاتية حيث تقصر الشخصية عن أحداث التكيف المرغوب مع ملاحظة ما يصاحب ذلك من آثار سيئة في المحيط الخارجي • ولذلك فان محاولة دراسة أي مشكلة يجب أن نتناول كل هذه الاسباب البيئية منها والشخصية حتى يمكن بالتالي التوصل الى احداث التلاؤم المطلوب بين الفرد ومجتمعه وما يحيط به • وهذا في الواقع هو المقصود بالخدمة الاجتماعية اذ أن ميادين الخدمة الاجتماعية المتعددة تنصب أساسا على تهيئة وسائل المواءمة والتكيف الاجتماعي عن طريق خدمة الفرد بزيادة امكانياته وتحسين قدراته لتعدد الفرص أمامه فيحيا حياة راضية منتجه •

وعن طريق خدمة الجماعة أيضا باحداث التفاعل المطلوب بين الفرد ومجتمعه واستعداده ورغبته في خدمة الجماعة وفقا لامكانياته وفي حدود قدراته فتتلاقى الجهود ويثمر التعاون فيما يقيمونه وينشؤونه من جمعيات وأندية وهيئات •

ثم أخيرا عن طريق تنظيم المجتمع لتنسيق مجهودات الافراد والجماعات وتنمية العلاقات بينهم بما يساعد على توحيد الاتجاهات والاهداف بين جميع المؤسسات والهيئات الحكومية والاهلية مع العمل على تنمية مواردها وامكانياتها في دراسة احتياجات المجتمع وتدبير المال اللازم لما يقومون به من خدمات •

تلك اذن ميادين أو فروع الخدمة الاجتماعية وهي - كما ذكرنا - انما تهدف في حقيقتها ومعناها الى خدمة الافراد والمجتمعات والوصول بهم الى حالة يمكنهم معها التغلب او محاولة التغلب على كل ما يصادفهم وينشأ في بيئاتهم من مشكلات اجتماعية من مرض او جهل أو فقر أو جريمة او تشرد أو انحراف •• الخ ••

٣ - تطور المشكلات الاجتماعية وتعقدها بتطور المجتمع

ان حياة المجتمع مليئة بالمنازعات والمشاحنات والتنافس والصراع وذلك نتيجة لتعارض المصالح والرغبات وسوء التوفيق والملاءمة بينهما كما أوضحنا آنفا وحيث أن سد تلك المطالب والاحتياجات مطلب أساسي للافراد والجماعات لذلك فان من الملم به بأن مشكلات التوفيق بين هذه المطالب وتحقيق الانسجام بينهما تبدو على صورة أخف تعقيدا في المجتمعات البدائية مما هو ملاحظ في المجتمعات الارقى مدنية وتقدما •

وتعليل ذلك ان مطالب الجماعات الاولية أقل من ناحية ومن ناحية أخرى ان هذه المجتمعات أبسط تركيبا مما هو عليه الامر في المجتمعات الحديثة حيث تتميز بالعديد من المنظمات والمؤسسات الكبيرة والروابط الاقتصادية والسياسية التي تقوم جميعا على تقسيم الوظائف والتخصص في شتى ظروف الحياة حتى يمكن ان تسد مطالب المجتمع الكثيرة واحتياجاته المتعددة •

ولو نظرنا مثلا الى الاسرة في المجتمعات البدائية باعتبار ان الاسرة نواة المجتمع لوجدنا انها كانت نظاما قائما بذاته تؤدي وظائف شتى لسد حاجة أعضائها ولم تكن هذه الاسرة وحدة استهلاكية فحسب بل كانت الى حد ما وحدة انتاجية حيث كانت تقوم بسد مطالب أفرادها من طبخ وغسل وتمريض وتعليم وتحكيم وتوفيق فيما يثور من مشكلات بين أفرادها ••• الخ • وكان كل فرد من أعضاء الاسرة يتحمل نصيبه الكامل من هذه المسؤوليات وكان للاسرة بذلك سلطان كبير على جميع أفرادها •

هذا ما كانت وتكون عليه الاسرة في المجتمعات الاولية

البسيطة . انما الحال يختلف كثيرا في المجتمعات الحديثة فالاسرة في مثل هذه المجتمعات فقدت الكثير من خصائصها ووظائفها الاساسية اذ لم يعد أفراد الاسرة بصفة عامة يشتركون في عمل انتاجي واحد حيث قد يعمل الأب في جهة والابن في جهة أخرى وكذلك الشأن بالنسبة للأم ان كانت تعمل والابناء الآخرين وهكذا تفرقت بهم السبل مما أدى الى ضعف الروابط بينهم وبالتالي ضعف سلطان الاسرة وتقلصها كأداة اجتماعية . وهذه نتيجة أدت اليها طبيعة التطور وظروف الحياة في المجتمعات الحديثة . وبسبب هذا الضعف في سلطان الأسرة كأداة اجتماعية قامت - بدافع الحاجة طبعا - مؤسسات أخرى لتؤدي الوظائف التي كانت تؤديها الاسرة كالمدرسة والنادي والنقابة وأماكن الترويح والتسلية ... الخ وهذا معناه أن تركيبات المجتمع تعقدت وتنظيماته ازدادت وعلاقات جديدة استحدثت فثارت معها بالطبع مشكلات ومطالب جديدة .

كما يجب أن نلحظ من ناحية أخرى أن كل هذه التطورات التي جدت على المجتمع صاحبها تغييرات كبيرة في طبيعة التركيب الاسري التقليدية كتفتت نظام العائلة الكبيرة الى نظام الأسرة الصغيرة . وهذا مانلحظه بصورة واضحة مثلا في مجتمعنا الحالي في الكويت . فانه نتيجة لما طرأ على مجتمعنا في الكويت من تطورات اقتصادية واجتماعية في خلال الخمسة عشر سنة الأخيرة وما صاحب كل ذلك من تغييرات أساسية في ظروف معيشتنا وأسلوب حياتنا ، فقد أدى كل ذلك الى تفتت نظام العائلة الكبيرة الى نظام الاسر الصغيرة . وقد يكون مثل هذا التغيير محمودا في حد ذاته بالنسبة لمجتمعنا في الكويت اذا لم يؤد الى اجتماعية أخرى كالقطيعة بين الفروع والاصول وعدم تقديم العون والرعاية من قبل القادرين للمحتاجين والمسنين من أفراد الاسرة .

وهكذا فكلما تطور المجتمع وتعقدت ظروف الحياة فيه كلما ازدادت حاجاته ومطالبه فتشتد بالتالي الرغبة في التكييف والمواءمة بين تلك المطالب واشباعها . ويصاحب التغيير في حياة المجتمع نشوء مشكلات جديدة على الدوام من ذلك مثلا مانعرفه جميعا من تأثير اختراع الآلة التجارية في حوالي منتصف القرن التاسع عشر على تعقيد الحياة في المجتمعات المدنية الكبيرة . فقد أدى هذا الاكتشاف العظيم الى نشوء المدن الكبيرة وقيام الانتاج الكبير وهذا أدى بدوره الى قيام الشركات والمؤسسات والوحدات الصناعية الكبرى بعد أن كانت الصناعة قبل ذلك تقوم على أساس وحدات صناعية صغيرة يشتغل فيها صاحب المصنع وحده أو بمعاونة البعض من أفراد أسرته وربما عدد قليل من العمال الاخرين . بينما شركات الصناعة والمصانع الكبرى تضم عددا كبيرا من العمال ليس بينهم وبين اصحاب العمل أي علاقة . ومن هنا نشأت علاقات ومشكلات جديدة سببها بالطبع تعارض المصالح بين العمال وأصحاب رؤوس الاموال . أولئك يطلبون رفع الاجر وهؤلاء يسعون الى تحقيق أكبر ربح ممكن من مشاريعهم ومخاطرتهم في أموالهم فكيف الحل اذن ؟ تكتل هؤلاء في نقابة وأولئك في اتحاد ثم تعددت هذه المنظمات وبدأت المساومة والمناقشات فثار الصراع وتدخلت الحكومة بدورها طبعا بمنظماتها أيضا والتحكيم . وهكذا تعددت العلاقات والمنظمات وتشابكت المصالح وثارت المشكلات . أولئك يطلبون المزيد من الرعاية وهؤلاء لا يستجيبون الا بقدر . وكل هذا بالطبع له تأثيره المباشر على استقرار المجتمع وتقدمه كذلك نلحظ أن نشوء المدن الصناعية الكبيرة نتج عنه اتجاه الناس الى هجرة قراهم وتركزهم للعيش في هذه المدن الكبيرة . وما من شك من أن طابع الحياة في المدينة يختلف عنه في القرى والمدن الصغيرة فظروف الحياة في المدينة أعقد ومشاكلها اوسع والصلات والظوابط بين الافراد أخف والصراع بين المطالب والرغبات أشد وهكذا تتعقد المشكلات الاجتماعية وتتفاقم . ومن هنا تتعدد في المدن الكبيرة الجرائم وحوادث الانتحار وحوادث الطلاق وتشرد الاحداث وجنوحهم

نتيجة لضعف الروابط وتصدع العلاقات .

مشكلات ومشكلات مما يعطي الدليل الواضح أنه كلما تعقدت ظروف الحياة في المجتمع ازدادت حاجاته وكثرت مطالبه فتزداد بالتالي مشكلاته وهذا ما يحتاج الى جهود مضاعفة في التوفيق وتحقيق الانسجام والملاءمة بين المطالب والحاجات ...

٤ ـ كيفية الوصول الى حل المشكلات الاجتماعية

يمكن القول على ضوء ما تقدم بأن المشكلة الاجتماعية تثور بسبب الرغبة في اشباع حاجة ما يحسها الفرد او المجتمع ولا بد من سد تلك الحاجات والمطالب حيث أن ذلك مطلب أساسي للافراد والجماعات .

وهذا بالطبع يقتضي في البداية بحث هذه الحاجات والمطالب التي لم تشبع والوقوف على ماتثيره من مشاكل اجتماعية ومعرفة أسبابها ثم رسم الخطط والبرامج الكفيلة بسد تلك المطالب واشباعها وفقا لامكانيات المجتمع وفي حدود موارده الحالية والتي يمكن تنميتها مستقبلا بما في ذلك الموارد الطبيعية والاقتصادية والثقافية والانسانية. وعلى أساس من هذه الخطة المدروسة المنبثقة عن احتياجات البيئة يمكن علاج ومواجهة جميع مايثور في المجتمع من مشكلات .

أما التغاضي عن هذه الاحتياطات وعدم محاولة اشباعها فهذا مدعاة لتخلف المجتمع وازدياد مشكلاته وتعقدها وبالتالي اعاقة نموه وتقدمه .

وعلى ذلك فان مايلاحظه الجميع اليوم من عدم توافر المسكن الملائم لبعض الاسر في الكويت يعتبر مشكلة اجتماعية رئيسية سببت لهؤلاء المواطنين الكثير من عدم الاستقرار والاطمئنان وبالتالي قلة الانتاج وانخفاض مستوى المعيشة بوجه عام . وهكذا فمشكلة السكن للبعض منا تعبر عن حاجة ماسة لابد من اشباعها . وكل هذا يقتضي وضع البرامج المدروسة القريبة المدى والبعيدة المدى أيضا حتى يمكن مواجهة هذه المشكلة الحادة حقيقة في الوقت الحالي وفي المستقبل تثور بسبب تزايد السكان .

وبالمثل تواجهنا اليوم في الكويت مشكلة اجتماعية بارزة لاتقل خطورة عن مشكلة السكن وهي أيضا تفصح عن حاجة لابد من اشباعها ، تلك هي مشكلة أوقات الفراغ لدى الشباب . فطاقات هؤلاء الشباب المدخرة اذا لم توجه التوجيه السليم بخلق مجالات التنفيس والتعبير عن ارادتهم ، قد تذهب هدرا ان لم تصرف في ممارسة العادات السيئة والاعمال المضرة التي تنشأ غالبا نتيجة للفراغ والتعطل .

ومن هنا بات واجبا على الافراد والجماعات بما فيها الجهات الحكومية المختصة العمل على اشباع الطاقات الحيوية لدى الشباب فيما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع العام . وما من شك في أن التفكير في تدعيم البيت ورعاية الاسرة من ناحية وكذلك المؤسسات الاجتماعية الاخرى من ناحية أخرى كالمدرسة والنادي ومراكز الثقافة ، ما من شك في أن تدعيم وتقوية كل هذه المؤسسات لتمارس نشاطاتها ووظائفها في التوجيه والارشاد والترفيه والتثقيف ، خير كفيل على سد أوقات الفراغ لدى الشباب بل ان مثل هذه الخطط والبرامج في تدعيم وتقوية تلك المؤسسات ذات الخطر الكبير في التأثير على حياتنا لن يقف عند حل ملء الفراغ فحسب وانما سيمتد أثرها في معالجة جميع مشكلاتنا الاجتماعية التي بدأنا نحس بوطأتها وتأثيراتها السيئة على تقدمنا كتفكك العلاقات العائلية وجمود بعض العادات والتقاليد التي لاتلائم روح العصر الحديث .

وهكذا يتبين لنا بأن جميع مشكلات المجتمع غير مستعصية على الحل اذا ما واجهناها بالبرامج المحلية المنبثقة عن احتياجات البيئة والمبنية على الدراسة والبحث .

عبد العزيز الصرعاوي

دراسة المجتمع كوسيلة لرسم خطة الاصلاح الاجتماعي

بقلم : الاستاذ محمد همام الهاشمي

مقدمـــة :

دراسة المجتمع عملية حديثة ولدت في السنوات الاولى من القرن التاسع عشر حينما تعقدت المجتمعات العربية نتيجة اتجاهها الى التصنيع وما صاحبه من مشاكل اجتماعية اثرت على ما تعارف الناس عليه من علاقات ومستوى معيشي – الامر الذي دفع العلماء الى البحث عن اسباب هذه المشاكل وآثارها في حياة الناس وفي كل كيان المجتمع الذي يعيشون فيه .

وساعد على تطور الدراسات هذه ما وصلت اليه العلوم الطبيعية من رقي وتقدم ، وما جرى في معاملها من بحوث وتحليلات وتفسيرات لارتباطات الظواهر والاشياء وعناصر البيئة ، بغرض فهمها وتطويعها في خدمة الانسان .وشجع العلماء على اجراء هذه البحوث – ايمان الناس بالطريقة العلمية – نتيجة لتقدم الطبيعة ، فاذا نشأ خلاف مثلا في مدى نظافة مياه الشرب فان الاطراف المختلفة تقبل عن ايمان حكم معمل التحليل ..

فبدأت الدراسات والبحوث في مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع والنفس،ثم تكاتف بعض المتخصصين في هذه الميادين في جهد مشترك لبحث ظاهرة او مشكلة من جميع النواحي والزوايا التي تهم المجتمع – وأصبح لهذه الدراسات تأثير عميق في السياسة والبرامج التي تعالج مشكلات المجتمع حينما اصابت المجتمعات تغيرات جوهرية في فلسفتها ، بفردية الانسان وبحريته ، وبأن هذه الفردية وهذه الحرية المطلقة هي سبيله الوحيد للحياة الكاملة ، في اطارها تنمو شخصيته ، وتصقل مواهبه ، ويرتفع مستواه ، وتنطلق ذاته معبرة ومنتجة بما يصلح حاله وحال مجتمعه ... هذا المجتمع يرى في مساعدة الذين فشلوا باعتمادهم على أنفسهم – في أن يصلوا الى مستوى معقول من الكفاية والانتاج والحياة السعيدة – مساعدة لمن لا يستحقها لانها تشجيع للخاملين وتطفل على حياة العاملين الناجحين .. مثل هذا المجتمع لا يمكن ان ينظر الى الدراسات الاجتماعية – التي تستهدف البحث عن اسباب الفقر ومشكلاته بغرض الاستعداد لتنفيذ برنامج للمساعدات العامة مثلا –لايمكن أن ينظر لها بتشجيع ومعاونة تعضيد – الا اذا تغيرت فلسفته ، وتبنى فلسفة جديدة ، تؤكد مسؤولية المجتمع قبل افراده وجماعاته ، والا اذا آمن بأن الانسان ابن مجتمعه ، تنعكس عليه ظروفه وأحواله . وهذا هو ماساد فعلا حتى في اشد المجتمعات الغربية تطرفا في الفردية وقياس قيم الناس وأقدارهم بما يملكون .

لماذا ندرس المجتمع ؟

من المعروف ان مشاكل المجتمع لاتحلها النية الحسنة فقط ، ولكنها تعتمد على الوصول الى الحقائق والمعلومات التي توضح اسباب المشكلات والعوامل التي تساعد على توسيع شقتها وخطورة نتائجها – كما ان هذه المعلومات توضح الطريق امام افراد المجتمع من حيث انها تكشف لهم الارتباطات والمسببات لما يعانونه من مشاكل ، ومايقوم به المجتمع من جهود لعلاجها – وهذه الدراسات ترتبط حتما بالظروف الاجتماعية والانحرافات ، كما ترتبط بما ينفذه المجتمع من برامج لعلاج هذه الظروف والانحرافات فدراسة المجتمع اذا تستهدف :

١ – رسم برامج الاصلاح الاجتماعي بحيث يوجه المجتمع موارده لمقابلة الاحتياجات والتغلب على المصاعب والمشاكل التي تقابل الافراد والجماعات .

٢ ـ جمع المعلومات والبيانات التي توضح ظروف المجتمع ودراسة مدى انحراف هذه الظروف عن العادي او الطبيعي الذي يرتضيه المجتمع كمثال لما يجب ان يكون •

ومعنى هذا ان الهدف النهائي لدراسة المجتمع هو الوصول الى الرفاهية الاجتماعية التي تتفق مع موارده الطبيعية والبشرية بما يضمن نموه وتطوره في الاتجاه السليم •

طرق دراسة المجتمع :

وتأخذ دراسة المجتمع عادة طريقين :

أولا : البحث الاجتماعي : وهو وسيلة علمية تستعمل المنطق والطرق العلمية المنظمة بغرض اكتشاف حقائق جديدة ، او التأكد من حقائق قديمة وتحليل نتائجها وارتباطاتها وتفسيراتها والقواعد العامة التي تحكمها •• كل ذلك بغرض فهم الحياة الاجتماعية ، والوصول الى افضل طريق لتوجيهها الوجهة الصحيحة • ولا يهم هنا ان تنتهي هذه الدراسات بنتائج علمية يمكن تطبيقها ما دام البحث مبنى على اسس سليمة ، وله غاية واضحة ـ من حيث اكتشاف الموجود فعلا بطريقة علمية ، وليس ما يجب ان يكون ، ولا ما يعتقد الناس انه كائن•• والعالم او زمرة العلماء الذين يقومون على بحث اجتماعي يستهدفون في الغالب الاعم ان يصلوا الى فهم كنه الاتجاهات الاجتماعية ، والقيم ، وباقي القوى الاجتماعية التي تحفز الناس للعمل والانتاج ـ باعتبارهم اعضاء في جسم المجتمع تسيرهم عادات وتقاليد ونظم اجتماعية وعلاقات ومثل عليا ومصالح خاصة وعامة ••

وهذه نظرة اشمل واعم من النظر الى المشاكل الاجتماعية فقط التي كانت اساس البحوث الاجتماعية الى تبني هذه النظرة الشاملة ا لىأن المشاكل الاجتماعية تعطي صورة غير حقيقية وغير واقعية عن المجتمع ، ولكن الحياة الاجتماعية كلها بما فيها من علاقات وعادات رأي عام واتجاهات وقيم اجتماعية ، هي التي تعطي الصورة الخفية للمجتمع • ولذا فقد كان من الضروري ان يتجه العلماء الى فهم الحياة الاجتماعية اليومية كما يعيشها غالبية الشعب وليس كما يعرفها او يعيشها قلة من الناس المنحرفين او غير العاديين لانه ، كما وضح احد علماء الاجتماع حتى في المدن الكبيرة حيث يحدث العديد من الجرائم والانحرافات وحيث عرف الفساد السياسي ، فان اغلبية السكان يبدون على غير علم بما يجري كأنما هي امور تحدث في بلد آخر •

ومعنى هذا ان هذه الجرائم والانحرافات والمشكلات الاجتماعية مهما كان اتساع رقعتها فلا يمكن ان تشمل مدينة حديثة بجميع فئاتها وقطاعاتها ـ ومن هنا كان تصويرها لايعطي صورة حقيقية واقعية عن المجتمع • وهذا لايعني انها لاتؤثر بطريق مباشر او غير مباشر في حياة الجماعة ككل ، ولكن اثرها لا يمتد ليشمل الجميع كما يميل بعض العلماء الى تعليق اهمية خاصة على البحوث التي تسمح لنا ليس فقط بفهم الواقع ، ولكن أيضا بتوقع المستقبل عن طريق معرفة الاتجاهات الحالية والماضية ـ وذلك بالرغم من تأكدهم من الحقيقة التي تقول ان الحاضر يستمد اصوله من الماضي ، وان المستقبل ينمو من الحاضر ـ ولكنه لا يمكن ان يكون تكرارا كاملا مضبوطا من الحاضر او الماضي ـ لأن عناصر جديدة تتدخل باستمرار لتمنع هذا التكرار ، كالاختراعات والاكتشافات والظروف السياسية ونوع القيادة•• ولذلك فان البحوث التي تتوقع اتجاهات في المستقبل لا تستغني عن التعبيرات المعروفة التي تقيد الظروف بما هو كائن في الحاضر فتأكد انه « اذا استمر الاتجاه الحالي وبقت جميع الاحوال على ما هي عليه •• » او « اذا حكمنا بما هو جار حاليا من اتجاهات •• » على ان هذه الفروض لاتقل من اهمية الدراسات المتنبئة •

وكان من نتيجة تقدم هذه البحوث الاجتماعية ان نشأت الحاجة الى معامل الدراسات الاجتماعية ـ لتجميع وتحليل واختيار وشرح الظواهر الاجتماعية ، وتفهم اتجاهات المجتمع عن طريق توحيد جهود الفنيين في جهد تعاوني مشترك • وقد لعبت هذه المعامل دورا هاما

جدا في الوصول الى حقائق هامة في حياة المجتمعـــات ، نتيجة الجهود المشتركة لعلماء الاجتماع والاقتصاد وعلماء أصل الانسان وعلماء النفس من جهة ـ وكذلك لمايتوفر فيها للباحث من الامكانيات والخبرات والجو المنظم من جهة اخرى .. كما انها ساعدت الى حد كبير على تقريب الحواجز المصطنعة بين العلوم الاجتماعية التي عددناها باعتبارها جميعا تهتم بالانسان وظروف حياته في المجتمع.

ثانيا : المسح الاجتماعي : يختلف المسح الاجتماعي عن البحث الاجتماعي في أن المسح الاجتماعي عمليـة تجميع بيانات ومعلومات تختص بوجوه نشاط معين ، او لطبيعة مشاكل اجتماعية معينة تواجه المجتمع وتثير الرأي العام الى الدرجة التي تستدعي سرعة المواجهة والعلاج . فهو اذا أول خطوة في رسم الخطط الاصلاحية من حيث انه الدراسة العلمية لظروف المجتمع واحتياجاته ومشاكله للوصول الى نتائج وخبرات تبنى عليها الخطط الواضحة المتكاملة . ولهذا فان المسح الاجتماعي يتجه أساسا الى تلك الفئات أو القطاعات التي تتضح فيها المشكلة الاجتماعية باعتبارها تحتاج المعونة العاجلة وحتى لايتسرب منهـــا الفساد الى باقي قطاعات المجتمع ـ فترسم الخطط والبرامج الاصلاحية العاجلة او طويلة المدى . وقد يتجه المسح الاجتماعي الى بحث ظروف جماعات صغيرة او كبيرة ، وقد يكونون سكان مبنى واحد ، او سكان مجتمع بأكمله وقد يكونون حالات المساعدات او حالات الشيخوخــة فقط ، أو قد يكونون طبقة معينة من طبقات المجتمع .

وتجمع البيانات عادة عن طريق وضع اسئلة معينـــة لافراد الجماعة التي تدرسها ـ فمثلا حينما يجري مسح اجتماعي لجهة مزدحمة في مدينة معينة بغرض الوصول الى المعلومات الرقمية التي تمثل هذا الازدحام ـ يسأل أرباب اسر هذه المنطقة عن عدد حجرات مساكنهــم وعن عدد الافراد المكونين للاسرة الذين يعيشون في هذه الحجرات ومن هذه الاجابات يمكننا ان نخرج بنتائـج يمكن تجسيدها في أرقام تبرز حقيقة ومدى هذا التراحم بحساب متوسط عدد الافراد في كل حجرة في هذا القطاع من المجتمع ..

فالمسح الاجتماعي اذا يستهدف :

١ ـ وصف طريقة معيشة الناس كأفراد في جماعات من حيث العلاقات والمنافع الخاصة والعامة .

٢ ـ الوصول الى نتائج يمكن ان تكون رقمية لقياس ابعاد المشاكل الاجتماعية ، والوصول الى اسبابها ثم رسم الخطة العلاجية لها ـ كالمسح الاجتماعي لمشاكل الفقر او الازدحام أو انحراف الاحداث او المرض او القمار أو سوء التغذية أو الوحـدة في الشيخوخــة او تقاعس الهيئات الاهلية ، او فساد الاداة الحكومية .

٣ ـ ان المسح الاجتماعي ليس غاية في حد ذاتــه ولكنه وسيلة لجمع معلومات يمكن ان تكون اســاس برنامج عملي للاصلاح .

٤ ـ ان المسح الاجتماعي يمكن أن يعطي المجتمـع كله او ان يعني بجزء منه كقطاع التجارة او الصناعــة أو الرعاية الصحية او مشكلات مرضى التدرن .. الخ .

وقد يؤدي جمع البيانات الى اكتشاف حقائق جديدة ، او مناطق للمشاكل الاجتماعية لم يكن المجتمع على وعي بها ، لأنه من الطبيعي أن تنشأ باستمرار مشاكل جـديدة نتيجة للتغيير الاجتماعي السريع الذي يمر به العالم في هذه الفترة من حياته .

وتختلف المجتمعات من حيث انتباهها لهذه المشـكلات كما تختلف من حيث قدرتها على مواجهتها ... ففي بعض المجتمعات يحدث تجاهل تام لهذه المشاكل الى أن يتعقد الموقف الى الدرجة التي تهدد كيان المجتمع واستمراره وتطوره تهديدا مباشرا ، وحينئذ تتخذ الخطوات او ترسم البرامـج التي تســكن الالم بعض الوقت الى أن تعود المشكلات الى الظهور ـ وهناك مجتمعات أخرى اكثر ادراكا للمشاكل ، تقوم على دراستها وتحاول فهم اسبابها واتجاهاتها ليمكنها ان ترسم الخطط المنسقة لمواجهتها .

العلاقة بين البحوث الاجتماعية وبين الخدمة الاجتماعية التطبيقية :

ترتبط الخدمة الاجتماعيةالتطبيقية بالبحوث الاجتماعية بنفس الاغراض والاهداف ، ولكنهما تختلفان من حيث طريقة دراسة الحياة الاجتماعية والمشكلات والاحتياطات كما يستفيد كل منهما من تقدم الاخرى ومن اكتشافاتها ومعلوماتها •

فالخدمة الاجتماعية التطبيقية تعالج المشكلات الفردية او الاجتماعية القائمة التي تؤثر في حياة الشعب ، وهي تهتم بالتطبيق ورسم الخطط والبرامج الاصلاحية •وهي تستعمل في هذا التطبيق الدراسات والبحوث النظرية وتستفيد من تقدمها وعمقها وشمولها للحياة الاجتماعية ـ وهي تسعى لتكون برامجها ذات كفاية عملية عاليـــة ، ولكنها لاتهتم عادة باختيار صلاحية الاسس التي اجريت عليه البحوث الاجتماعية ، ولا تبذل جهدا في تمحيص المفاهيم التي قامت عليها الدراسات بعد ما تهتم بنتائجها وامكانية تطبيقاتها العملية في الميدان •

ولكن البحوث الاجتماعية بخلاف ذلك دراساتنظرية لا تهتم اساسا بالمشاكل ، أو بالاصلاح الاجتماعي ، ولا تضعه كهدف اساسي في عملها ـ وحتى حينما تدرس التغيرات في النظم الادارية ، أو في مستويات المعيشة ـ فانها لاتدرسها بغرض اصلاحها ، ولكن بغرض تحليلها وشرح العلاقات والعمليات التي تربطها بوجوه الحيـاة الاخرى في المجتمع دون تحديد هدف محدد ـ وهـذا لايمنع بالطبع ان تكون لهذه الدراسات نتائج عمليـــة ولكنها لاتكون مقصورة في حد ذاتها •••

ولنقرب الوضع الى الاذهان نضرب المثل بالعــلاقة التي تقوم بين الدراسات العلمية في ميدان الصحة والطب وبين الاطباء المعالجين •• فالدراسات الطبية لا تهـــدف اساسا الى علاج مرض معين بقدر ما تهدف الى فهممكونات هذا المرض ، والاسباب الموضوعية للاصابة به ،والقوانين الخاصة التي تحكم العلاقة بينه وبين البشر ••• ويأخـذ الطبيب هذه المعلومات فيطبقها فيما يعرض له من حالات على الطبيعة فتزيد من مقدرته على مقاومة الامراض به ، والقوانين الخاصة التي تحكم العلاقة بينه وبين البشر •• ويأخذ الطبيب هذه المعلومات فيطبقها فيما يعرض له من حالات على الطبيعة فتزيدمن مقدرته على مقاومة الامراض ويستفيد بنتائج الابحاث المجردة ـ سواء كانت تخـــدم مصلحة عاجلة او تساعد على توضيح علاقات وارتباطات لم تكن مفهومة من قبل • كماان الباحث غالبا ما يستفيد بخبرات المنفذ قد يحور في النتائج النظرية للنظريات التي لم يتسنى لها النجاح في التطبيق العملي • ومن هنا تتبين العلاقة الوثيقة المتبادلة بين البحث الاجتماعي وبين الخدمة الاجتماعية التطبيقية ـ هذه العلاقة التي كانت سببا في نشوء العديد من المؤسسات الاجتماعية التي تستهدف تقريب الشقه بين البحث والتطبيق العملي ومنها مؤسسة لدراسة المشاكل الاجتماعية ويلخص مؤسسها العالم الاجتماعي برجس اغراضها في الآتي :

١ ـ تأكيداهمية الدراسة العلميةللمشاكل الاجتماعية التي تواجه المجتمع •

٢ ـ تقريب الشقة بين النظريات الاجتماعية وميادين التطبيق العملي والدراسة الميدانية للمشاكل الاجتماعية في ميادين الحياة المختلفة كميدان الاحداث المنحرفـــين وسوء تنظيم المجتمع والمشاكل الاجتماعية للعوز والعجز ••• الخ •

٣ ـ الارتفاع بمستوى البحث الاجتماعي والاستفادة من الطرق والوسائل وخصوصا التجريبية في الدراسات الميدانية العملية للمشاكل الاجتماعية •

٤ ـ الارتفاع بمستوى ومعنوية وانتاج العاملـين في ميدان المشاكل الاجتماعية عن طريق دراسة ومناقشـــة المشكلات المشتركة التي تقابلهم وتنظيم الجهدالمشترك•

٥ ـ ايجاد الامكانيات والوسائل التي تسهل اجراء البحوث الاجتماعية من حيث توفير المعامل وامكانيـــات الدراسة والمكافآت والمساعدات وتوفير الباحثين •

٦ ـ ايجاد التعاون بين البحاث في الميادين المرتبطة المتكاملة كميادين الاقتصاديات وعلم النفس وعلمالاجتماع

والخدمة الاجتماعية وعلم الانسان •

الطريقة العلمية للدراسات الاجتماعية :

يتبين مما سبق ان البحث الاجتماعي يستهدف الوصول عن طريق الوسائل والطرق العملية الوصول الى المعلومات والبيانات الضرورية لفهم وشرح ، واحيانا الى التنبأ وفي النهاية الى التحكم في المواقف الاجتماعية في علاقاتها المعقدة المتشابكة • وهذه الاغراض يمكن الوصول اليها باتباع سلسلة من الخطوات تسمى بالطريقة العلمية لانها اساس البحث بالنسبة للعلوم الاخرى ويمكن ان نلخصها في الآتي :

١ ـ تكوين الفروض :

تكمن اهمية الفروض في انها تعطي اساسا صالحا للبحث وقد يضطر الباحث الى دراسة الابحاث الاجتماعية الاخرى التي اجريت في ميدان بحثه ليختار الاتجاه الذي يتبناه ويقيم فروضه على اساسه •• وهذا الاتجاه بدوره يساعد على تحديد مصادر المعلومات التي يلجأ اليها ومقدار العينة اللازمة لاختيار الفروض وحتى لايجمع معلومات لاتحتاجها فروضه مما يزيد فرصة تركيز اتجاهه الى ظاهرة معينة تدله معلوماته على تأثيرها في الميدان الذي يبحثه •••

فاذا كان الفرض مثلا أن « المساعدات العامة تميل الى تشجيع كبار السن من حالات الشيخوخة على البطالة » ساعدنا هذا الغرض على تحديد مجال بحثنا وحدد لنا نوع وكمية المعلومات التي تحتاج الى الحصول عليها للوصول الى تأكيد او نفي هذا الفرض •

٢ ـ جمع المعلومات :

يتم جمع المعلومات بطرق عدة منها الملاحظة او الاعتماد على المستندات والارقام التي توفرها الهيآت الحكومية او الاهلية وكذلك مقابلة الافراد وسؤالهم وتوجيه الاسئلة بالبريد واستمارات الاستبيان وغيرها • وفي الفرض الذي فرضناه يستلزم الامر جمع معلومات عن عدد حالات مساعدات الشيخوخة وحالتهم قبل المساعدة من حيث اعتمادهم على العمل في حياتهم وتطور حالاتهم الصحية وعدد الذين انقطعوا عن العمل وحالتهم الصحية قبل الانقطاع وبعده واسباب هذا الانقطاع وغيرها •

٣ ـ ترتيب وتصنيف المعلومات :

ونوع الترتيب والتصنيف هذا يعتمد على نوع الدراسة التي تجري كما يعتمد على مدى فهم الباحث للمشكلة او الموضوع الذي يدرسه • فهو يكون الجداول طبقا للتشابه او التضاد او بالنسبة لاكثرية الحالات او نتيجة للتتابع المنطقي لها • وفي الفرض الذي افترضناه يكون ترتيب المعلومات وتصنيفها بالنسبة للرجال من أرباب الاسر مثلا ثم للرجال الذين لايعولون اسر أو بالنسبة للعدد الاكبر من المتعطلين قبل وبعد المساعدة ثم المتعطلين بعد المساعدة فقط •

٤ ـ التعميم او تكوين النظرية :

تتبع هذه الخطوة تفسير او تحديد مفاهيم التعبيرات التي يطلقها الباحث ثم تكوين النظريات باثبات صحة الفروض او عدم صحتها • وتصبح هذه النظريات قوانين اجتماعية اذا وصلت الاختبارات التي يجريها غيره الى نفس النتيجة التي وصل اليها • فالقانون الاجتماعي الذي يقول مثلا « انه كلما ارتفعت نسبة الاحداث المنحرفين في منطقة سكنية معينة كلما زادت نسبة العائدين منهم » لم يعتمد فقط على المعلومات التي جمعها للوصول الى هذه النتيجة ولكنه اعتمد أيضا على الاختبارات التي اجراها هو وغيره والتي وصلت بهم الى نفس هذه النتيجة •

ومن الطبيعي انه من الصعب الوصول الى قوانين اجتماعية لأن الحقائق الاجتماعية يصعب الوصول اليها ليس فقط لانه تنقصنا الآلات والمعدات اللازمة لقياس هذه الحقائق ولكن أيضا تعود الصعوبة الى أن هذه الحقائق معقدة متشابكة مع حقائق اخرى يصعب الفصل بينها وابقاء بعضها في حالة من عدم التغيير ـ ولذا فان ما يصل اليه العلماء من نظريات او قوانين عرضة دائما للتغيير والتبديل ••

طرق ووسائل المسح الاجتماعي :

ويختلف المسح الاجتماعي عن البحث الاجتماعي

المجرد ـ كما سبق القول في انه يهتم بالوصول الى نتائج معينة يمكن ان تكون الاساس في عمل اجتماعي ـ ولهذا كانت وسائله وطرقه تختلف عن وسائل وطرق البحث الاجتماعي الذي لا يستهدف نتيجة تطبيقية معينة • ففي المسح تحددالجماعةالقائمة به نوع المشكلة التي‌سيتوفرون على بحثها كما يحددون الاسئلة التي تحتاج الى اجابات للوصول الى طريقة جمع البيانات التي يحتاجونهاللوصول الى صورة رقبية تحدد اتجاه خدمهم في المجتمع • كما تحدد هذه الاسئلة مصادر المعلومات التي يلجأون اليها •

« العقيدة القومية » تتمة مانشر على الصفحة الثانية

الدكتور من هذا الكلام فالحروب الصليبية في رأيه حروبا دينية حينا وحروبا قومية وحينا آخر ، وأنا لا أكادأصدق بأن كاتبا كالدكتور « محمد زغلول سلام » تغيب عن ذهنه هذه الحقيقة التاريخية ، هذه الحقيقة الواضحة وهي أن الصليبيين قد اتخذوا الدين شعارا لاغراض استعمارية معروفة وأن مسيحي الغرب لم يكونوا يثقوا بمسيحيي الشرق وأن الحروب الصليبية قد أثبتت بأن كثير من المسيحيين العرب قد بذلوا كثيرا من الجهد في نصرة العروبة استجابة للشعور العربي الذي يجدونه في أعماقهم فقصة ذلك الطبيب المسيحي العربي المسمى « بأبي سليمان داود بن أبي المنى » معروفة فقد عرض الرجل نفسه وولده للمخاطر حين أكرم ذلك الفقيه العربي المسلم وأرسل ولده أبا الخير وهو فارس من فرسان الصليبية للاتصال « بالملك الناصر » وليس من شك أن الدافع الى ذلك هو الاستجابة للروح العربية التي تكمن في صدر ذلك المسيحي وما اعتقد الا أن « الدكتور » قد قرأ قصة البويب تلك القصة التي أظهرت بوضوح‌مقدارتأثير الروح العربيةعلى صاحبها وتغلبه على الشعور الديني فقد أدرك المسيحيونالعرب ان لم ينصروا اخوانهم المسلمين العرب فسيتغلب الفرس عليهم ويلحقهم العار فانضم المسيحيون العرب الى اخوانهم المسلمين العرب في القتال حتى تمكنوا من التغلب على عدوهم ، ولست أشك أن « الدكتور » قد قرأ قصة بناء بغداد حينما أراد المنصور أن يهدم ايوان كسرى فتحركت النعرة الفارسية في وزيره ومنعه من ذلك ، ولست أشك مطلقا أيضا أن « الدكتور » قد قرأ محاولات البرامكة مع الرشيد تلك المحاولات التي تظهر مقدار تأثير الروح القومية على أصحابها ولست أقصد بهذا الكلام أن ألوم الفرس أو الترك في دعوتهم الىقوميتهم فان لكل أمة مطلق الحق في أن تدعو الى قوميتها في حدود العقل والانصاف فما ينبغي لأمة أن تعتدي على أمة أخرى وذلك بأن تدعي بأنها يحق لها أن تسيطرعلىبقعة لأمة أخرى• والخلاصة أن الحقائق العلمية التاريخية تثبت بأن الدين شيء والقومية شيء آخر •

الثوري العربي المعاصر
في
الثورة والامة *

بقلم : ناجي علوش

مقــدمة

عبأت الثورة العروق ٠٠٠ بدأ الارتعاش ينتقل من قلب الى قلب ، ومن بلدة الى بلدة ومن قطر الى قطر ، وشعر الشعب عامة ورجال الاصلاح خاصة أن الدستور الذي أعلن سنة ١٨٧٦ بارتقاء عبد الحميد الى سدة الخلافه ، قد كان نصرا وتطورا ، وأن هذا التطور لابد أن يستمر ، غير أن السلطان الجديد الذي افتتح عهده باعلان الدستور نقض ما أقسم عليه بعد فترة وجيزة فالغى الدستور وأعاد الدولة أشد « اوتوقراطية » مما كانت عليه ٠

ولكن ظلم عبد الحميد وجبروت السلطنه ما كان يستطيع اخفاء ضعفها وهزالها وان كان قد أجل موعد انهيارها الى عام ١٩٠٨ عندما نفي عبد الحميد وعاد الدستور من جديد ٠

في هذه الفترة تبلورت آراء في الثورة والامة والدولة والحزب والاشتراكية وغيرها من القضايا الهامة ، وكان هذا طبيعيا ومنسجما مع منطق المرحلة ، فالاتصال بالغرب وما نتج عنه وبداية عهد ثوري جديد في الامبراطورية العثمانية يفرض طرح مثل هذه القضايا ومناقشتها ٠

فما هي الآراء ٠٠ آراء الرواد في مثل هذه القضايا ؟٠

الثورة

الحديث عن الثورة يستلزم البحث عن دوافعها وغاياتها كما يستلزم البحث في وسائلها وأساليبها ٠

آ ـ الدوافع : ان الظلم الذي كان يفرضه الجهاز الحاكم على الجماهير وأساليب التعسف والارهاب والاضطهاد التي كان يمارسها الولاة على الشعب وتسرب فكر الغرب على الشرق ، حرك روح التمرد والثورة ، لا سيما وأن الاتصال بالغرب ودراسة فكره ومعرفة تاريخه ـ ولو على نطاق محدود ـ والمحاولات الثورية المسلحة في اليونان والبلقان واليمن ، قد غذت هذه الروح ودفعتها الى الميدان ، ولكن هذه « الروح الثورية » كما يبدو ظلت في مستوى الانفعال وعلى صعيد الرد ، مما جعل نظرتها « مثالية بحتة » أو عامة ٠ يقول أمين الريحاني « ان روح الثورة حية عاملة في دوائر الحياة كلها (١) » ٠ ولكن أديب اسحق يعطيها معنى اكثر واقعية عندما يقول : « ما أنتم أصحاب الثورة انما أصحابها الذين يوجبونها بما يظلمون (٢) » ٠ فالثورة اذن حية عاملة في دوائر الحياة كلها ـ كما جاء في قول الريحاني ـ وهي ـ كما جاء في قول أديب اسحق ـ تنتج عن الظلم فهو الذي يوجبها ٠ وهكذا فهي تبدو في القول الاول حركة طبيعية ، من الطبيعة ، بينما تبدو في القول الثاني حادثا ينتج عن اختلال في الحياة الاجتماعية ٠

ويبدو أن رواد الاصلاح قد اتجهوا اتجاهين بالنسبة لدور الفكر ودور الجماهير في الثورة ، الاتجاه الاول ويعتبر أن الفكر ينشىء الثورة ، ومن القائلين بهذا نوفل الطرابلسي في « سياحة المعارف » والبستاني في «دائرة المعارف(٣) » ٠ أما الاتجاه الثاني فقد ربط الثورة بالجماهير « الذين يقاتلون عن انفسهم » كما يقول أديب اسحق و « الذين هم على بينة مما يقصدون » وليست حركتهم « دعوة لزعيم أو عصيانا لزعيم(٤) » وواضح هنا أن الثورة لم ترتبط بالجماهير فحسب بل ارتبطت بالفكر ، فالثوار « على بينة مما يقصدون » كما ارتبطت بالدفاع عن الوجود ، مجرد الوجود ، فهم يقاتلون عن أنفسهم، وبحكم الشعب لان الثوار ليسوا دعاة زعيم او عصاة زعيم ٠

---

٥ ـ فصل من كتاب « الثوري العربي المعاصر »الذي سيصدر عن دار الثقافة

(١) المريحانيات ـ الجزء الثالث ـ روح الثورة ٠

(٢) الدرر ـ الثورة ١١٧

(٣) الفكر العربي الحديث ١٢٠

(٤) الفكر العربي الحديث ١٢١

ب ـ الغايات : قد يكون تتبع الغايات أسهل من تتبع الدوافع وان كان الغايات والدوافع واحدة ، ذلك أن الغايات تظهر واضحة اذا لم تتضح الدوافع ، لاسيما وأن وراء الدوافع دائما تاريخا طويلا معقـدا ليس من السهل تتبعه وسبر أغواره ، ثم ان الغايات دائماتعرف مما تحقق نظريا أو عمليا بالكتابة والخطابة أو بالسلوك والعمل ومن خلال هذا تبحث الدوافع ٠

أما غايات الثورة ـ كما تبدو ـ فهي :

أولا : الاصلاح الذي يبدأ من الدين عند روادالاصلاح الديني » لينتهي باصلاح المجتمع ، والـذي يبدأ من العلم عند رواد « الاصلاح العلمي » لينتهي الى تغيير الحياة الاجتماعية ، ولقد تحدد عامة باصلاح زراعي وصناعي وديني وسياسي(٥) ٠

ثانيا : كان الاصلاح السياسي مرتبطا بالشورى في نظر « رواد الاصلاح » ولقد عرف الافغاني بأنه من أشد دعاة الشورى أحرارا ، كما عرفالكواكبي بدعوته الثائرة الى مثل هذا ٠

ثالثا : أرتبطت الدعوة للشورى بالدعوة للدستور ٠

رابعا : مقاومة الاستبداد وتسفيهه واظهار أسبابه ونتائجه ، وأفضل دليل على هذا كتاب « طبائعالاستبداد» لعبد الرحمن الكواكبي ٠

خامسا : مقاومة الاستعمار الذي أمتدت ظلاله على الشرق عامة ، والوطن العربي خاصة ، مؤكدة أبشع أنواع الاستغلال والسيطرة ٠

سادسا : تأمين الحرية الفردية ،السياسيةوالدينية(٦)

سابعا : كان الثوار يهدفون الى تحقيق وحدة عربية ولكن الشعور الاسلامي كان يطغى أحيانا ، بينما كان الشعور بوحدة سورية الطبيعية يطغى أحيانا أخرى ٠

النشوء والثورة

يبدو أن رواد الاصلاح قد اتفقوا على أن الثورة تنشأ نشوءا بطيئا بسبب اختلال اجتماعي ، وأنها طارئة بينما النشوء هو الاصل ، وكلهم متفقون ـ كما نرى ـ على أن التدرج أفضل من الثورة ، وأن الثورة تعني الدماروسفك الدماء ولذلك ربطها بعض رواد الاصلاح لفظا ومعنى بالفتنة كما فعل الكواكبي في كتابه « طبائع الاستبداد »٠

يقول الدكتور الشميل في هـذا الصدد « ويلزم أن تكون الثورة صادرة عن استعداد باطن كأنها اتفاق خفي بين اعضائه (المجتمع) موافقه لامياله ، أن تكون عبارة عن صوت الشعب لكي تكون قانونية والا انقلبت شرا عليه ٠ والثورة التي تكون كذلك هي ثورة لاتغلب ولا تقاوم لأنها ليست من أفعال الافراد بل هي عبارة عن تخلص الجسم كله مما ثقلت وطأته عليه تخلصا طبيعيا قانونيا لانها ليست بالحقيقة سوى فعل سريع لقوى متجمعة تجمعا بطيئا في زمن طويل أشبه شيء بالزوبعة التي تتجمع في سنين كثيرة ولا تثور الا في يوم واحد ثم تهجع ، ولذلك يقال ان النشوء هو القاعدة وأما الثورة فأمر شاذ ردىء غالبا وان كان قانونيا نافعا أحيانا(٧) »٠

ويقول أمين الريحاني : « من الحقائق الرائعة : ان الثورة للامة كالحمام للانسان تنبه فيه الدم وتوقظ النشاط ناهيك بالنظافة ، فالخمود الملازم لحكومات الشرق كلها والفساد الذي اعتراها والاقذار التي تراكمت عليها لايزيلها غير الحمام ، حمام الثورة الغالي (٨) ٠

ويقول أيضا : « الثورة الحقيقية ونحن من أنصارها من رسلها انما هي التي يزرع الزمان بذورها في قلوب الناس وفي عقولهم (٩) »٠

ويقول أديب اسحق ـ كما ورد سابقا ـ انماأصحاب الثورة هم الذين يوجبونها بما يظلمون ٠

وهكذا فالدكتور الشميل قد اعتبرها ضرورية ولكنه اشترط لذلك شروطا منها أن تكون صادرة عن استعداد باطن وأن تكون صوت الشعب ، وهي عندما تكون كذلك تصبح حتمية لاتغلب ولاتقاوم ، قادرة على تخليص الجسم مما ثقلت وطأته عليه ٠ وعلى الرغم من كل ذلك فهي « أمر شاذ ورديء غالبا » « وان كان قانونيا نافعا أحيانا»

أما الريحاني فيعتبرها ضرورية لانها تنبه الامة كما ينبه الحمام الجسم ، ولانهاالرد الوحيد علىفساد حكومات الشرق ٠ وهو بهذا يعتبرها نافعة ولازمة ٠

أما أديب اسحق فهو يعتبرها ردا واعيا على الظلم وليس دعوة لزعيم وعصيانا لزعيم فهي بهذا ضرورية ما وجد الظلم ٠

ولكن الكواكبي يعتقد أن « الاستبداد لا ينبغي ان يقاوم بالعنف كي لاتكون فتنة تحصد الناس حصدا » غير أنه يرى « أن الاستبداد قد يبلغ من الشدة درجة تنفجر عندها الفتنة انفجارا طبيعيا » فالاستبداد هنا هو الذي يولد الثورة ، والثورة فتنة « تحصد الناس حصدا » ويجب أن تتلافى ٠ ولكنه يرى أن هنالك احوالا يعددها تهييج العوام ضد المستبد وهي :

أولا : عقب مشهد دموي مؤلم يوقعه المستبد على مظلوم يريد الانتقام لناموسه ٠

---

(٥) فصلت هذا في موضع سابق لهذا الفصل

(٦) طبائع الاستبداد ١١٨

(٧) المقتطف ـ المجلد العاشر ٢١٥

(٨) الفكر العربي الحديث ١١٥

(٩) الفكر العربي الحديث ١٢١

ثانيا : عقب حرب يخرج المستبد منها مغلوبا ولايتمكن من الصاق عار الغلب بخيانة بعض القواد ٠

ثالثا : عقب تظاهر المستبد باهانة الدين اهانة مصحوبة باستهزاء يستلزم حدة العوام ٠

رابعا : عقب تضييق شديد عام مقاضاة لمال لايجده حتى أواسط الناس

خامسا : في حالة مجاعة لا يرى الناس فيها ظاهرة من المستبد ٠

سادسا : عقب ما يستفز الغضب النوري كتعرضه لناموس العرض أو حرمة الجنائز في الشرق وناموس القانون أو الشرف الموروث في الغرب ٠

سابعا : عقب حادث تضييق يوجب تظاهر قسم كبير من النساء في الاستنصار ٠

ثامنا : عقب ظهور موالاة شديدة من المستبد لمن تعتبره الامة عدوا لشرفها الى غير ذلك من الامور المماثلة(١٠)٠

وواضح هنا أن الكواكبي يعتبر الثورة حتمية في أحوال مخصوصة ، ولكنه يعتبرها اطلاقا أمرا شاذا ورديئا وهو هنا يلتقي بعض الشيء مع الدكتور الشميل في اعتباره الثورة أمرا شاذا ورديئا ، وفي اعتبارها حادثا طارئا ، كما أن كلا من الكواكبي والشميل يرى أن للثورة أسبابها الاجتماعية ، وان كان الكواكبي يخاف الثورة أكثر مما يخافها الشميل ٠ غير أن الكواكبي أقرب الى أديب أسحق القائل : انما أصحاب الثورة هم الذين يوجبونها بما يظلمون ٠

اما اتفاق الرواد على أن التدرج أفضل فهو واضح تماما ، يقول الكواكبي : « الاستبداد لا يقاوم بالشدة انما يقاوم باللين والتدرج(١١) » ويقول في تفسير ذلك : «ومبنى قاعدة أن الاستبداد لايقاوم بالشدة انما يقاوم بالحكمة والتدرج هو أن الوسيلة الوحيدة الفعالة لقطع دوابر الاستبداد هي ترقي الامة في الادراك والاحساس وهذا لايتأتى الا في زمن طويل لان العوام مهما ترقوا في الادراك لايسمحون باستبدال القشعريرة بالعافية الا بعد التروي المديد ، وربما كانوا معذورين لانهم ألفوا أن لايتوقعوا من الرؤساء والدعاه الا الغش والخداع (١٢)»٠

ويقول الدكتور عثمان أمين في كتابه « رائد الفكر المصري » في سياق حديثه عن فكر الشيخ الامام محمد عبده اقتنع المفكر المصلح اقتناعا يقينيا بأن التقدم الصحيح هو تقدم العلم والتربية والاخلاق وأن هذا التقدم لن يكون باقيا الا اذا سار وئيدا أكيدا (١٣)» ٠

ويقول فيه أيضا « كانت غايته رفع مستوى الامة وتقويم اخلاقها والنهوض بها نهضة اجتماعية في تدرج وأناه ومن غير عنف ولا طفره (١٤) »٠

ويقول الدكتور شبلي الشميل (ثم لما كان اجماع الارادات في العمران على أمر غير ممكن غالبا وكان القسم الاكبر يبقى معه عدد غير قليل من الناس غير موافق له كان لنا من ذلك قاعدة ثالثة في السياسة وهي ضرورة التدرج في الانتقال من حال الى حال بحيث لاتكون المباينة بين القديم والحديث والحاضر والمستقبل كليه والا اعترض الانتقال موانع لا تقاوم ولا تحمد معها النتيجة ٠ وتشتد الحاجة الى هذا التدرج كلما كانت النتائج الجامعة للارادات السابقة كالعوائد والاعتقادات أشد وأرسخ(١٥) » ٠

ويقول أيضا : « فالنتيجة الكبرى المتحصلة من فيسيولوجيا الاجتماعات انما هي تفضيل النشوء على الثورة ، وأعظم وسائط الارتقاء بالنشوء انما هو الانفاق الذي لا يقر شيئا الا تدريجا وبعد أن يتم التراضي عليه (١٦) »

ان في هذا كله ما يكفي في اثبات اعتقاد الرواد بأفضلية النشوء على الثورة ، التدرج على الطفرة ، وهي ايضاح بعض جوانب مغنى هذا التدرج وأسبابه ٠

الاساليب والوسائل

البديهية التي لاتحتاج الى برهان أو تفصيل هي أن الاساليب والوسائل من الدوافع والغايات روحها ومنطقها ٠ ان الاساليب والوسائل هي الانعكاس الحي لدوافعها وغاياتها ، انها الدوافع والغايات في حيزالتطبيق ومن هذا يستطيع المتتبع الباحث أن يرى في الوسائل والاساليب حقيقة الدوافع والغايات اذ أنها هي التي تبرزها واضحة جلية ٠

يقول الكواكبي « وعندي أن البليه فقدنا الحرية وما أدرانا ما الحرية ، هي ما حرمنا معناه حتى نسيناه وحرم علينا لفظه حتى استوحشناه (١٧) »٠

ويقول الافغاني : « اذا صح أن من الاشياء ماليس يوهب فاهم هذه الاشياء الحرية والاستقلال » ٠

---

(١٠) طبائع الاستبداد ١٣٣ ـ ١٣٤

(١١) طبائع الاستبداد ١٣١

(١٢) طبائع الاستبداد ١٣٢

(١٣) رائد الفكر المصري ٨٨

(١٤) رائد الفكر المصري ٢٩

(١٥) مجموعة الدكتور شبلي الشميل ـ الجزء الثاني ٤١

(١٦) مجموعة الدكتور شبلي الشميل ـ الجزء الثاني ٤١

(١٧) أم القرى ٢٢ ـ ٢٣

والذي نفهمه من هـــذين القولين : هو أنه لابد من استراد حريتنا ـ التي كان يسميها الكواكبي « العافية المفقودة » ـ وأن هذه الحرية لاتترد الا بالنضال لانهـا لاتوهب ولكن ماهي وسيلتنا في ذلك ٠٠؟

عندما نحاول أن نجد الجواب نجد تيارين ـ لانستطيع أن نضع حدا فاصلا بينهما ـ تقف وراء كل منهما نفس الاسباب تقريبا مثل استعداد الامة والتضامن والبـذل والاتجاه نحو الجوهر ، جوهر المدينة ٠ أما التيار الاول فهو اتجاه يعتمد على الجماهير وتنظيمها ويعتبر أنها بدون النضال لا تكون جديرة بحريتها ، وأما الثاني فهو اتجاه يبحث عن مستبد عادل وعن سيف بونابرت ٠

ونحن نلمس روح الاتجاه الاول مثلا في كتاب الكواكبي « أم القرى » الذي يلمح فيه عن ضرورة وجود المنظمة ، معتبرا اياها وسيلة الاستمرار الوحيدة : « لأن الجمعيات المنظمة يتسنى لها الثبات على مشروعها عمرا طويلا يفي بما لايفي به عمر الفرد الواحد ، وتأتي بأعمالها كلهـا بعزائم صادقة لايفسدها التردد ٠ وهذا هو سر ماورد في الاثر من أن يد الله مع الجماعة ، وهذا هو سر كون الجمعيات تقوم بالعظائم وتأتي بالعجائب ، وهذا هو سر نشأة الامم الغربية ، وهذا هو سر النجاح في كل الاعمال المهمة لأن سنة الله في خلقه ان كل امر « كليـا كان أو جزئيا ـ لايحصل الا بقوة وزمان متناسبين مع أهميتـه وأن كل أمر يحصل بقوة قليلة في زمان طويل أحـكم وأرسخ وأطول عمرا مما اذا حصل بمزيد قوة في زمان قصير ٠ وكلنا يعلم أن مسألتنا أعظم من أن يفي بهـا عمر انسان ينقطع ، أو مسلك سلطان لايطرد أو قوة عصبية حضرية حمقاء تفور سريعا وتغور سريعا (١٨)»٠

ان الكواكبي هنا لا يلمح على ضرورة « التنظيم » بـل يقدم مبررات وجود المنظمة التي تستطيع تحقيق نهضة ثابتة قوية ٠

غير أنا نجد روح التيار الثاني ، واضحة جلية ، فيما نقل عن رواد الطليعة المشهورين مثل الشيخ الامام محمد عبده والدكتور شبلي الشميل ٠

قال الشيخ الامام « لن ينهض الشرق الا بمسـتبد عادل (١٩) »

وقال الدكتور الشميل : « وأية نهضة علمية أو أدبية أو اجتماعية ترجى من مثل هؤلاء الاقوام الذين لاتجمعهم جامعة ولا تقوم لهم قائمة الا بسيف محمد أو بونابرت يعمل في رقابهم ويسوقهم سوق الاغنام (٢٠) » ٠

والجدير بالذكر أن الدكتور الشميل كان يعتبر نفسه اشتراكيا ، كما أن الشيخ الامام كان في اول حياتـه جمهوريا (٢١) ٠

آ ـ استعداد الامة :

بمناقشة الاساليب والوسائل تطرح مسألة استعداد الامة لتحمل مسؤوليتها في النضال ٠ ولقد ناقش الرواد الاوائل هذه المسألة فيمـا ناقشوا ، وكان رأي اكثرهم واضحا في أن نيل الحرية مرتبط باحساس الشعب بها واستعداده للعمل من أجلها ، « فالامة التي لاتشعر كلها أو اكثرها بآلام الاستعباد لاتستحق الحرية (٢٢) »٠ وقد يكون استعداد الامة فجا « فتنقم على المستبد ولكن طلبا للانتقام من شخصه لا طلبا للخلاص من الاستبداد فلا تستفيد شيئا انما تستبدل مرضـا بمرض مفض بصداع ، وقد تقاوم مستبدا بسـوق مستبد آخر فاذا نجحـت لا يغسـل هذا السائق يديه الا بماء الاستبداد فلا تستفيد شيئا انما تستبدل مرضـا مزمنا بمرض جديد (٢٣) » ، كما أن الامة قد تقـدم لها الحرية دون أن تكافح في سبيلها « فلا تلبث تلك الحرية أن تنقلب الى استبداد أشد وطأة كالمريض اذا انتكس(٢٤)

ولقد ناقش هذه القضية بوضوح الشيخ الامام محمد عبده من خلال رده على مطالبة الجيش بمجلس للشورى، اذ أنه اعتبر هذه المطالبة لاتعبر عن رأي الامة ولا تصور استعدادها ولذلك فانه من المحتمل أن تذهب بها الرياح فتجر المصائب على البلاد ٠

« ان الامة لو كانت مستعدة لأن تشارك الحكومة في ادارة شؤونها لما كان لطلب ذلك بالقوة معنى فيما يطلب به رؤساء الجند غير مشروع : لأنه لو تحقق ونالت البلاد مجلسا للشورى لما كان ذلك تصويرا لاستعداد الأمـة ولا تحقيقا لمطالبها فلا يلبث أن ينهدم ويزول وأخشـى أن يجر هذا الشغب على البلاد احتلالا اجنبيا (٢٥) » ٠ ولقد حدث ما توقع الشيخ الامام ٠

وهكذا فاستعداد الامة هو عنصر التقدم الرئيسـي الذي بدونه لا يكون معنى لاصلاح حتى ولو كان«الحرية» نفسهـا ٠

(١٨) أم القرى ١٢ (الكواكبي حيـاته وآثاره ـ الدكتور محمد أحمد خلف الله صفحة ٩)
(١٩) رائد الفكر المصري ١٩١
(٢٠) مجموعة الدكتور الشميل ـ الجزء الثاني ١٩٩
(٢١) الدكتور عثمان أمين في كتابه رائدالفكرالمصري
(٢٢) طبائع الاستبداد ١٤٣
(٢٣) طبائع الاستبداد ١٤٧
(٢٤) طبائع الاستبداد ١٤٧
(٢٥) رائد الفكر المصري ٣٠

وبما أن الامة كانت تغط في سبات عميق فلقد أصبح التثقيف المتواصل والتنوير الواعي هو الوسيلة الوحيدة لايقاظ وجدانها وبعث الحركة في أوصالها ، ولما كان الظلم شديدا والجهل أشد ، فلقد أحس الرواد بأن عملية التنوير هذه بحاجة الى الزمن ـ مابينته في حينه ـ ٠

لقد كان الرواد في واد والامةفي واد،وكانت الامة أبعد من أن تسمع صرخاتهم ، وأعجز ـ اذا سمعت أصداءها ـ من أن تفهمها ٠

ب ـ التضامن :

كانت الامة في هذه المرحلة أشد ماتكون تفككا ، ولقد كانت الطائفية والقبيله المظهرين البارزين لهذا التفكك٠ أما الطائفية فان نارها كانت مشتعلة لاسيما وأن مذابح سنة ١٨٦٠ كانت لاتزال ماثلة للعيون ٠

من هنا بدا أن تضامن الامة ضروري لمقاومة عدوها الواحد ، وأن هذا التضامن لايكون الا اذا تناست الامة أحقادها الماضية واتجهت الى المستقبل ، والجدير بالذكر أن دعاة الاتحاد الوطني ـ كما سماه الكواكبي ـ كانوا يتمثلون بالغرب ٠ قال الكواكبي « يا قوم وأعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين أدعوكم الى تناسي الاساءات والاحقاد وما جناه الآباء والاجداد » ثم يستأنف الكواكبي « فهذه أمم اوستراليا وأمريكا قد هداها العلم لطرائق شتى وأصول راسخة للاتحاد الوطني دون الديني والوفاق الجنسي دون المذهبي والارتباط السياسي دون الاداري فما بالنا نحن لا نفتكر في أن نتبع احدى تلك الطرق أو شبيهها فيقول عقلاؤنا لمثيري الشحناء من الاعجام والاجانب دعونا ياهؤلاءنحن ندبر شأننا نتفاهم بالفصحى ونتفاهم بالاخاء ونتواسى في الضراء ونتساوى في السراء ٠ دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الاديان تحكم في الاخرى فقط ٠ دعونا نجتمع على كلمات سواء ألا وهي (فلنحيي الامة ، فلنحيي الوطن ، فلنحيي طلقاء) (٢٦) ٠

وواضح هنا أن الكواكبي يجيب على مشاكل أساسية ثلاث :

الاولى : مشكلة العلاقات بين ابناء الامة الواحدة ذوي الاديان المختلفة معتبرا أن الاخذ بالاتحاد الوطني هو الوسيلة الوحيدة لحلها ٠

الثانية : المشكلة القومية ، فالاتحاد الوطني لابد أن يقوم على أصول راسخة من الوفاق الجنسي دون المذهبي والجنسي هنا تعني القومي بالضبط ٠

الثالثة : مشكلة الطائفية : ولقد ردها الكواكبي الى مثيري الشحناء من ان الرد على هذه المشاكل الثلاث كان من صميم روح النهضة ٠

الامـة :

لانستطيع أن نحدد موقف الثورة العربية من الامة ، من القومية ، الا اذا عرفنا التيارات التي كانت تعتمل في قلب الثورة ٠

ونحن نستطيع أن نحدد معالم ثلاثة تيارات :

الاول : قومي عربي

الثاني : ديني اسلامي

الثالث : شرقي ٠

وقبل أن نتحدث عن كل هذه التيارات لابد من تقرير البديهية التي كان الرواد يبنون عليها اساس نظريتهم في الاجتماع ، فلقد كانوا يعتقدون اعتقادا جازما بان « الاستبداد أصل لكل فساد » وبأن الاجتماع ينتهي بالاستبداد ٠

يقول الدكتور الشميل : « وفي الجملة وحينما يبتدىء الاستبداد والقوة ينتهي الاجتماع الحقيقي بين البشر(٢٨)

وهكذا يرتبط الاجتماع بالحرية في اذهان الرواد ارتباطا وثيقا ٠

أولا : التيار القومي العربي ٠

في بداية النهضة كانت « الجامعة الاسلامية » هيالتيار الفاعل والظاهر ، ولكن على الرغم من ذلك ، فهنالكمايدل دلالة واضحة على أن الرواد قد اتجهوا الى الامة فيما اتجهوا اليه فوضعوا لها تعريفا ٠ ومن هؤلاء الاديب الثائر أديب اسحق ٠ كما أن هناك مايدل دلالة واضحة على أن بناء المجتمع على أسس قومية كان واضحا لدى عبد الرحمن الكواكبي ٠

آ ـ رأي أديب اسحق في الامة :

يقول أديب اسحق « الامة ٠٠٠٠٠٠ ومن الرجل قومه وفي عرف أهل السياسة الجماعة المتجنسة جنسا واحدا الخاضعة لقانون واحد » ٠

ويقول : « وانما المراد بوحدة الجنس اتفاق الجماعة على الاعتزاء الى جنس واحد يتوالدون فيه ويتسمون به، كالجنس الامريكاني لسكان الولايات المتحدة الاميركية سواء كانوا انكليزا أو فرنسويينأو اسبانيين أومريكانيين أصلا ، والعثماني لسكان البلاد العثمانية في أوربة وآسية كانوا تركا أو عربا أو تترا أصلا » ٠

---

(٢٦) طبائع الاستبداد ١١٠

(٢٧) مجموعة الدكتور الشميل ٤٣

(٢٨) طبائع الاستبداد ٣٤

ويقول : « وقد زعم بعض الناس أن من لوازم وحدة الامة لغتها وهو وهم (٢٩) » ٠

ونحن نجد هنا محاولة لتعريف الامة ولكنها فجة ولا شك ٠

فالامة هي «الجماعة المتجنسة جنسا واحدا» «الخاضعة لقانون واحد »

وهكذا يصبح العربي والتركي والتتري أبناء أمة واحدة لأن جنسيتهم واحدة والقانون الذي يحكمهم واحد، وعلى هذا الاساس فاللغة ليست عنصرا هاما ٠في بناء المجتمعات القومية ٠

ويبدو هنا اختلاط مفهوم القومية بالجنسية واضحا ٠

والذي لاشك فيه ان الاعتماد على العلاقات السياسية دون الثقافية والتاريخية هو الذي أدى الى مثل هذا التشويش والاضطراب ٠ لقد أدى الى الانحراف عن معنى القومية الحق والى الاتجاه في اتجاه معاكس للفكرة العربية التي كانت قائمة على اعتبار العرب أمة لها حقها في الحرية والحياة ٠

ب ــ رأي عبد الرحمن الكواكبي :

بينت فيما مضى أن الكواكبي كان من دعاة « الاتحاد الوطني » القائم على « الوفاق الجنسي » لا المذهبي ولقد خاطب الناطقين بالضادمن غير المسلمين لتناسي الاحقاد وما خباه الآباء والاجداد ولقد كان دليله في « الاتحاد الوطني » القائم على الوفاق الجنسي أمم استراليا وأمريكا التي هداها العلم الى طرائق شتى وأصول راسخة للاتحاد الوطني ٠

يقول الكواكبي في « رؤوس المسائل » التي يطرحها للمدققين لانها ذات علاقة بالحياة السياسية ٠ « (مبحث ماهي الامة أي الشعب) هل هي ركام مخلوقات نامية أو جمعية عبيد لمالك متغلب أم هي جمع بينهم روابط جنس ولغة ووطن وحقوق مشتركة (٣١) » ٠

وواضح هنا أن الكواكبي يعتبر أن كلمة أمة مرادفة لكلمة شعب ثم ان هذه الامة جماعة من الناس تربطهم روابط « جنس ولغة ووطن وحقوق مشتركة » ٠

وبما أننا نستطيع أن نفهم من دعوته « للاتحاد الوطني » وتمثله بأمم استراليا وامريكا ما معنى«الجنس» فاننا نعتبر أن رأيه كان صائبا في تعريف الامة ، على الرغم من أننا لا نستطيع اعتباره « كاتبا قوميا » حسب المدلول العلمي لهذه الصفة ٠

ثانيا : الجامعة الاسلامية :

يعتقد أمير البيان شكيب أرسلان أن « مبدأ سير الجامعة الاسلامية السير المنظم على الخطط المقررة ،حوالي منتصف القرن التاسع عشر ، اذ كان للجامعة أسان قامت عليهما ، هما الطرق الدينية الحديثة النظام كالطريقة السنوسية ، والدعوة التي قامت بها فرقة من جلة العلماء وأكابر المفكرين الحكماء يرأسها السيد جمال الدين الافغاني(٣١) ٠ ولقد حاول هو نفسه أن يعرف الجامعة الاسلامية فقال « الجامعة الاسلامية بمعناها الشامل ومفهومها العام انما هي الشعور بالوحدة الواحدة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الاسلامي وهي قديمة باصلها ومنشئها منذ عهد صاحب الرسالة (٣٢) »٠

أما غاية الجامعة فان أمير البيان يوضحها بقوله : « جميع هذا يوضح أن العالم الاسلامي يجب عليه أن يتحد اتحادا دفاعيا عاما ، مستمسك الاطراف وثيق العرى ٠ نستطيع بذلك الذياد عن كيانه ووقاية نفسه من الفناء المقبل ، والوصول الى هذه الغاية الكبرى انما يجب عليه اكتناه اسباب تقدم الغرب والوقوف على تفوقه وقدرته (٣٣) » ٠

غير أن حركة الجامعة الاسلامية التي كانت جزءا من حركة التحرر في الشرق عامة والتي ارتبطت بالدعوة للتحرر من قيود الماضي ومن أغلال الاجنبي ، وبالدعوة لحياة الشورى والدستور ، خرجت عن نطاق السنوسية ودعوة المفكرين الاحرار عندما تبناها السلطان عبد الحميد رسميا وأخذ يكرم دعاتها ويقر بهم حتى أصبح الافغاني الحر من أقرب المقربين اليه ٠ ولكن نزعة الافغاني التحررية ومحاربته للطغيان حكمت على هذه العلاقة المصطنعة بالانتهاء ٠

والذي لاشك فيه هو أن أهداف عبد الحميد من الدعوة للجامعة كانت غير أهداف السنوسية والمفكرين الاحرار ومغايرة لهم ، ذلك أن السلطان عبد الحميد كان يسعى لاكتساب العطف الشعبي ولم أشتات الامبراطورية باسم الدين واسم الخلافة ٠

ثالثا : الاتجاه الشرقي أو جامعة التخلف :

في قراءتنا لما كتب في النصف الثاني من القرن التاسع

البقية على الصفحة ــ ٢١

---

(٢٩) الفكر العربي الحديث ٢١٦

(٣٠) طبائع الاستبداد ١٢٠

(٣١) حاضر العالم الاسلامي ــ شكيب ارسلان ــ الجزء الثاني ٢٩٥

(٣٢) حاضر العالم الاسلامي ــ شكيب ارسلان ــ الجزء الثاني ٢٨٨ اقتباسا من الافغاني

(٣٣) حاضر العالم الاسلامي ــ شكيب ارسلان ــ الجزء الثاني ٣٠٧

اغنية .. الى جبال العرب

« في عيد الوحدة »

شعر : جميل حسن

بصخورك الصم الصلاب •• وبالبديع من التلال
بوهادك الخجلى التي استعصت على غلب الرجال
بمدارج العقبان يقصر دونها حد الخيال
بذراك ، أوكار النسور تطل من فوق المحال
بسفوحك اللائي تطيف بها أفانين الجمال
بالشوح •• بالبلوط •• بالدفلى •• بآيات الجلال
بالأرز •• بالغابات ، تحوي كل خضراء الظلال
وبما حملت الى الدنا ، وستحملين مع الليالي
أمرعت دنيانا •• وأخصبت الوجود بكل غال
بوركت ، ملء مسامع الاكوان ، يا دنيا الجبال
بوركت • انا فوق ماتبني الظنون ، وما تغالي ••
وبمثل مر المستحيل على مراقيك الطوال
انا تحدينا صعوبات الزمان على التوالي
نترصد التاريخ نتحفه بأخبار النضال
درب النضال على شعافك رائع صعب المنال
قماتك السمر الرهيبة قد أحاطت بالرمال
فحمت لها كبر البطولة لاتخاف ولا تبالي
ماجت بها كثبانها ، ظمأى الاسنة والعوالي
اني لأسمع ، من هنا وهناك في نفس المجال :
الله اكبر ، يالثارات العروبة •• والمعالي
ألمارد العربي هب اليوم تياه الدلال
متحديا سمع الزمان بكل رعاف النضال
للحق •• للحرية الحمراء ، يلحف بالسؤال
للوحدة الكبرى •• لعدل الله في علم ، ومال
راياته خضر معطرة •• وفي يمنى « جمال »

* * *

مما حباك الله من نعمى •• ومن خير العطاء
من كل ماعرف الوجود من السماحة والسخاء
من زينة الوديان ، من عرس الطبيعة والضياء
من لحن ألحان الخلود يزفه شلال ماء ••
من زقزقات الطير تهزج للصباح •• وللمساء
من موكب يتلو مواكب مورقات بالغناء
في درب عين الماء ، درب الحب أو درب الرجاء
درب الصبايا العاشقات الهاويات على السواء •
من تمتمات في المساء ، وغمغمات في العشاء
من هذه الدنيا الملونة •• المعطرة الرواء
أبدعت في صدق تصاوير السعادة •• والهناء
ونفحتنا فيها فعشناها منضرة السناء
ووعدتنا وعدا نعيش على مجاليه الوضاء
والوعد مسؤول ، وطاب اليوم ميعاد القضاء
قولي ! ألم تعدي بأن نحيا على ذكرى اللقاء
ونظل نعمل للقاء ، لقاء كل الاقرباء
ونزلزل الارض الخضيبة تحت كل الادعياء
ومزوري تاريخنا ، ومبددي شمل الاخاء
ونخوضها حربا مقدسة لنكرم بالوفاء
ووعدت • ان دق النفير • لتزهين بلاحياء
في كل ثوب سندسي اللون موفور البهاء
اليوم يومك يا جبال فأتحفينا ان تشائي
قولي ! ألست ترين في الآفاق رواد البناء
أو ما سمعت وتسمعين على المدى قدس النداء
من كل درب للعروبة : يا لثارات الاباء
والاسمر العربي فوق النيل يبسم للسماء •

* * *

في كل زند من زنود بنيك عزم من حديد
في كل قلب من قلوبهم رؤى بأس شديد
في كل صدر عامر بالحب تاريخ الجدود
من وزعوا الخير العميم على القريب ، على البعيد
وتمردوا ، الا لباريهم ، على ذل السجود
في هؤلاء القانعين ، وفيهم عزم الاسود
فيهم نرجي كل يوم • أن نخوض ومن جديد
ثورات وحدتنا ونبنيها ونهزأ بالحدود
في كل وجه اسمر ، تصميم جبار عنيد
قد أحرج الايمان ، في قسماته كل الشهود
ليمزقن حدوده ، رغم المكابر •• والجحود
ويمزقن وراءها ، قلب المعاند •• والحقود
وقد استهان بما يراه اليوم في دنيا الرشيد
بالامس كانت هكذا ، وأمر عاصمة الوليد

واليوم تقرأ في دمشق على المدى • بيت القصيد :
البعث ، والفجر الجديد ، وخلق شعب من جديد
العابرون بكل درب عابرون بلا قعود
مزق من البشرية الشوهاء في حلم وئيد
يتخيلون المجد ملهاة الأذلة •• والعبيد
ويحاولون الفخر ، دون الفخر ، في فهم بليد
ولو انهم تركوا لراحوا يركعون على القيود
ويقبلون مواطىء الاقدام للمولى البعيد
شاهت وجوههم ، لهذا الحد تعفير الخدود ؟

★ ★ ★

الوحدة الكبرى صلاة الكل لله المجيد
و « جمال » رائدها • وكل العرب في العيد السعيد

قدموس – برقانة المشايخ

جميل حسن

تتمة مانشر على الصفحة (١٩)

عشر والربع الاول من القرن العشرين نجد كلمة الشرق تتردد باستمرار دون أن تكون ذات مفهوم محدد • ويبدو أن دعاة الجامعة الاسلامية كانوا يستعملونها للدلالة على مقصدهم ، اذ أن أغلبية سكان الشرق الأدنى والاوسط من المسلمين ، كما أن غيرهم كانوا يستعملونها للدلالة غير المحددة على العرب والشعوب المجاورة لهم •

ولكن كلمة « الشرق » لم تبق على غموضها فلقد عمد الدكتور شبلي شميل الى اعطائها تعريفا جامعا مانعا ذا مدلول غير الجامعة الاسلامية • يقول الدكتور الشميل : « الشرق لفظة تضم بلادا واسعة وأقطارا شاسعة مختلفةالاطوال والعروض والحروالبرد والخصب والجدب تضم فيها أمما وشعوبا وقبائل متبايني الاصل والفصل مختلفين في الشكل وفي قابليات العقل تجمعهم اليوم جامعة واحدة هي تراخي النظام وفساد الاحكام وانحطاط المدارك العقلية وفساد المبادىء الادبية لاعلم يقيهم ولا عمل يحميهم الخ (٣٤) » •

ويقول : « تجمعهم اليوم جامعة الوقوف والتقهقر في تاريخ العمران (٣٥) » •

فالشرق اذن كلمة تعني معسكر التخلف كما يقول مالك بن نبي اليوم •

وعلى الرغم من أن التعريف موضوعي الا انه لم يستطع أن يضع حدودا معينة لما سماه الشرق • وهكذا ظل الشرق واسعا شاسعا يضم شعوبا وقبائل تجمعها جامعة التخلف •

أما الاساس الذي قامت عليه هذه الدعوة ، فهو الدفاع عن كيان الامم المتخلفة التي أصبحت فريسة الاستعمار الغربي ، يقول الشيخ الامام محمد عبده : « ان مجاوزة الحد في الاعتداء تنسي الامم ما بينها من الاختلاف في الجنسية والمشرب فترى الاتحاد لدفع ما يعمها من الخطر الزم من التخرب للجنس والمذهب (٣٦) » •

ولقد جاء في مقدمة كتاب جمال الدين الافغاني « الرد على الدهريين » أن الجامعة التي كان ينشدها « لم تكن الجامعة الاسلامية كما قيل وانما هي في صميمها الجامعة الشرقية (٣٧) » وهذا غير ماشاع عن هذا الكاتب الفيلسوف وأخذ به كثير من الكتاب حتى أمير البيان شكيب أرسلان •

ويبدو أن هذه الدعوة قد جعلت من القضية المشتركة في مقاومة التخلف والاستعمار منطلقها في العمل •

أما بالنسبة لفعالية هذه التيارات فلا شك أن التيار الاسلامي كان أقواها جميعا لانها كانت جداول تبدأ منه لتصب فيه •

---

(٣٤)و(٣٥) مجموعة الدكتور الشميل – الجزء الثاني ١٩٥
(٣٦) رائد الفكر المصري ٢٣٩ – ٢٤٠
(٣٧) الرد على الدهريين – الافغاني ١٥

معروف

قصة بقلم : غسان كنفاني

قال فجأة ..

– هل تعرف طالبا اردنيا يدرس في جامعة بغداد أسمه معروف ؟

– قابلته مرة ..

صمت قليلا ، كان الموج قد بدأ يرتفع مع المد حاملا في خط مستقيم اسراب الجراد التي سقطت في البحر حينما عجزت اجنحتها الشفافة على حملها للشاطىء ، ثم قال بهدوء ..

– لقد قتل ...

– كيف ؟ معروف ؟ كيف قتل ؟

وصلت في تلك اللحظة لاقدامنا موجة صاخبة القت أمامنا سربا آخر من الجراد ... تناول منه جرادة صفراء جسمها الطويل محفوف بارجل منشارية ، ورفعها امام عيني نازعا جناحيها الشفافين متمتما بصوت فاجع :

– هكذا ...

– ولكن أين قتل ... أين ؟

– فيالموصل ..

– ما الذي قاده لهناك ؟..

معروف شاب قصير القامة ، نحيل الجسم الى حد مرضي ، ولكنه رغم كل شيء يتمتع بروح فكهة تخفي في اعماقه قلقا له جذور سوداء تمتد الى اليوم الذي كان عمره فيه لايتجاوز العشر سنوات ، حينما وصل مع امه الى اول بئر ماء بعد ان طردا من بلدتهما الصغيرة ، اللد .. كانت أمه عطشى وكانت حافة البئر مكتظة بمئات من الرجال والنساء الذين ينتظرون فرصهم لكي يشربوا ... لكي يعيشوا .. لقد زاحم الناس باصرار رجل بائس .. وحينما عاد الى أمه بكوز ماء ملوث بالتراب ، كانت قد ماتت ...

لقد مرت سنوات طويلة على اليوم ذاك ، يوم وقف أمامها حاملا في راحتيه الصغيرتين كوز ماء قذر .. كانت تتكىء على صخرة حمراء .. ووجهها الشاحب يفضح أي صمت قابلت فيه عذاب موت رهيب .. كانت شفاهها سوداء مجعدة .. وكان لسانها مدورا يسد مجرىالنفس .. لقد وقف لحظة دون أن يعي .. وحينما هزه احدهم كي يسير مع القافلة عرف ان كوز الماء قد خطف من يده اثناء شروده ..

لقد كان الطريق طويلا حقا منذ غادر البئر الى ان وصل لباب الجامعة .. كان طريقا طويلا موحلا .. ولكن هل سمع أحدهم في يوم ما أن « معروفا » يريد شيئا من هذه الحياة ؟يهمه امر ما ؟ يطمع لمستقبل محدد؟ يناضل من أجل هدف ؟ يعيش لغاية ؟ كلا .. ان أحدا لم يسمع .. لقد قال لي مرة فيما هو يقلب جريدة في يده .. « اسمع يافيلسوفي الصغير .. الانسان يعيش ستين سنة في الغالب ، اليس كذلك ؟ انه يقضي نصفها في النوم .. بقي ثلاثون سنة .. اطرح عشر سنوات مابين مرض وسفر وأكل وفراغ .. بقي عشرون .. أن نصف هذه قد مضت مع طفولة حمقاء ..ومدارس ابتدائية .. لقد بقي عشر سنوات .. عشر سنوات فقط، أليست جديرة بان يعيشها الانسان بطمأنينة ؟ »

بهذه الفلسفة الساذجة كان يقابل أي تحد يواجهه .. كان يحل مشاكله بالتسامح .. وحين يعجز التسامح يحلها بالنكتة .. وحين تعجز النكتة يفلسفها ..

لقد سألته مرة محاولا ان اجر رأسه لتأييد مشروع حزبي ..

ـ ألست تريد الرجوع الى فلسطين يا معروف ؟
قال وهو يضحك ••
ـ حتما أريد •• لسوف أوفر عليك سؤالك التالي •• أتعرف قصة هانيبال ؟ حينما عبر جبال الألب ساروجنوده خلف الافيال •• حسنا •• أنا لست فيلا •• أنتم الفيلة •• حينما تعبرون الحدود الى فلسطين سوف أكون خلفكم •• أنا صرصار صغير ساحتمي باظلال فيلة هانيبال ••

أتصدق ان مثل هذا الانسان •• الذي عاش على مثل هذه الترهات اللطيفة •• الساذجة •• والذي قاوم كل أنواع الجذب ، كل انواع التحدي •• اتصدق ان هذا الانسان تغير دفعة واحدة ؟•• كيف تغير ؟؟ لا أحد يدري !•• لقد اصبح وجهه مربدا كما لو انه مازال يحمل كوز الماء أمام جسد امه الممدد بصمت فاجع •• بل انه كان يجد لذة وراحة حينما يأخذ في الحديث عن تلك اللحظة •• لقد قال لي يوما اذ كنا عائدين الى الدار في منتصف الليل ••

ـ أتعرف شيئا ؟ •• ان حياة بعض الناس كالشريط السينمائي العتيق الذي تقطع، فوصله فنان فاشل منجديد بصورة خاطئة •• لقد وضع النهاية في الوسط ووضع الوسط في النهاية ••

كنت اعرف انه يتحدث عن نفسه •• ولم أحاول أن انظر الى وجهه كي أتأكد من أن عيونه تدمع ولكنني رغبت في أن أواصل التحدي منتهزا ضعفه في تلكاللحظة •• فقلت • •

ـ أتريد أن أناديك حينما تبدأ أفياء هانيبال بعبور حدود فلسطين ؟•••

لقد ارتجف قليلا •• ولكنه حافظ على هدوء غريب ، وسمعت صوته يتشنج باستسلام :
ـ أنسيت انه يجب على بعض الرجال ان يقودوا الافيال؟

لماذا تغير معروف ؟ لا أحد يدري •• لقد سألته مرة عن هذا الموضوع فقال وهو يشير براحتيه المبسوطتين كي يؤكد جوابه •• « لاشيء •• لقد كانت الكذبة فوق والحقيقة تحت •• فانقلب كل شيء •• أصبحت الحقيقة فوق والكذبة تحت •• »
ـ ولكن ما الذي أحدث هذا القلب ؟ ••

بسط راحتيه الى الامام وقلب شفته السفلى ثم صمت •

ارتفع المد أكثر من ذي قبل حتى غطى الماء اقدامنا الممددة على الرمل ، فابتعدنا قليلا كي نستريح على صخرة مرتفعه •• كان صوت ارتطام الموج بالصخرة يعطي لحنا جنائزيا للشمس الوردية التي أخذت تهبط ببطيء ، خلال غيوم قرمزية نحو الماء •

صمت صديقي من جديد كانما ليحشد صدره بشجاعة جديدة ، ثم سأل فجأة •
ـ ولكن أين قابلت معروف ؟
ـ لقد تعرفت اليه في السيارة التي عبرت بنا الطريق مابين دمشق وبغداد •
ـ أنت تعرف بغداد اذن ؟
ـ آه نعم •• لقد مكثت فيها أكثر من شهر ••
ـ قبل الثورة أم بعدها ؟
ـ بعدها بأيام قليلة ••
ـ هل تعرفت الى معروف جيدا بالسيارة ؟

سيارات الدرجة الاولى لشركة (•••) ليست جيدة على الاطلاق ، فالمكيف الذي يميزها عن سيارات الدرجة الثالثة كان معطلا ••• اما الماء فقد كان باردا حقا •• باردا الى درجة لا نستطيع معها ان نشربه ، فجهازالتبريد كان يعمل على مزاجه ولم تكن هنالك وسيلة لايقافه عند درجة معينة •• لم تكن السيارة مكتظة بالركاب ••وحينما صعدت سلمها القصير لاحظت لتوى أن رفاق السفر لايمكن لهم ان يقصروا الطريق على الاطلاق •• في المقعد الاول جلس شيخ وقور صامت كتمثال •• وخلفه مباشرة جلس كهل بشرخ في وجهه ونظارة سميكة ،والى جانبه ابنته ، أو أخته ، كانت سمينة وقد لبست فستانا فريبا يتوسط صدره هرم مقلوب من قماش سميك مما جعل نهديها يندفعان الى الجانبين بصورة غير لائقة •• أما بقية الركاب فلقد كانوا من العجائز •• لقد جلست

في مقعدي صامتا •• الطريق الطويل •• والمزعج فيه أن أحدا لايتكلم ، ويخفف بكلامه شيئا من حر بادية الشام•

لقد وصلت السيارة الى « التنف » في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، وقبل أن تقف انفجر عجلها الامامي وقال لنا السائق اننا سوف نضطر للانتظار ساعة كاملة من أجل اصلاحه ثم اشار الي ان اهبط كي اساعده •• بصفتي الشاب الوحيد في السيارة •• الهواء على الارض كان باردا لاذعا ، وحينما حملت المطرقة كي ادق العجل لاحظت الى جانبي شابا قصير القامة نحيل الجسم اكتشفت انه هبط من السيارة ورائي •

لقد قرعنا العجل سوية بالمطارق حتى تعبنا فجلسنا فوقه لنستريح قليلا ولم أجد بدا من ان اسأل صاحبي القصير النحيل ••

ـ هل كنت راكبا في هذه السيارة ؟

ـ نعم •

ـ غريب انني لم أرك ؟

ـ لقد كنت غارقا في مقعدي ، وغارقا بقراءة « معطف » غوغول •

قلت بعد صمت قليل ••

ـ أين تريد الذهاب ؟

ـ انني طالب في كلية الحقوق في بغداد •• وسوف تبدأ الدراسة بعد اسبوع •

ـ أنت سعيد بالثورة أليس كذلك ؟

ـ سعيد جدا •• انها خطوة جيدة نحو « اللد » •

وحينما عادت السيارة تنهب الطريق الصحراوي ،كنت جالسا الى جواره ، الى جوار معروف كان يتكلم بطلاقة عن « اكاكي اكايفتش » بطل قصة المعطف لغوغول :

ـ انه نموذج من سياستنا •• اولئك الذين اصبحت السياسة عندهم غاية في حد ذاتها •• انهم مدمنو سياسة••

في تلك اللحظة التفت الكهل القابع امامنا مع ابنته أو اخته •• وهتف بصوت رفيع غير مألوف •

ـ أنت تقصد السياسيين الرجعيين •• أما التقدميين فأنا اخالفك النظر اليهم ••

والتفتت الينا الفتاة السمينة ، وقامت تهز رأسها موافقة على كلام الكهل ووجدنا انفسنا فجأة مواجهين بزوجين من العيون تتحدى •

لقد صمت معروف •• حتى اذا عاد الكهل والفتاة الى جلستهما الصامتة مال على اذني وهمس :

ـ اتعرف ممن هؤلاء ؟ من الشرفاء التقدميين •• انني اخاف على الثورة منهم ••

لقد صمت كلانا بعد ذلك •• ولكن السيارة سرعان ما توقفت حينما انفجر عجل جديد،وفتح السائق العملاق باب السيارة وطلب منا ان نهبط كي نصلح العجل مرة أخرى ••

لقد هبطنا ، وتبعنا الكهل وابنته ، حتى اذا ما تعبت أنا ومعروف جلسنا نستريح •• ورأينا الكهل يقترب من المطرقة الثقيلة ، ويرفعها بين كفيه ولكنه يعجز عن ايصالها الى ما فوق رأسه فيلقيها وهو يلهث ••

قال معروف وهو يقهقه :

ـ أيها التقدمي المسكين ان تجربتك العمالية الصغيرة قد فشلت ، وهكذا فلن تستطيع ان تكون تقدميا كاملا •• ماذا ؟ أنت لاتستطيع أن ترفع المطرقة كيف يمكن لك أن تدرك التناقض اذن ؟••

نظر الكهل الينا بقسوة ، ثم عاد ادراجه مسرعا الى السيارة •• وكررت الفتاة نفس المشهد ثم أخذت تحجل عائدة خلف كهلها وثدياها يهتزان على جنبي صدرها •

قلت لمعروف :

ـ لقد كنت قاسيا على الكهل !

ـ قاسيا ؟ اسمع ، ان افق هذا الرجل ليس الا مجموعة اذناب ممدودة ، انه لايؤمن بك الا عندما تكون ذنبا ، اما أن تكون ذنب « معسكر الشرق » او ذنب « معسكر الاستعمار » •• اما أن تكون رأسا لشيء صغير ، فلا •• انه يكون في غاية سروره حينما يتأكد من انه ذنب ممتاز لمعسكر السلام •• ويرفض أن يكون رأس أي شيء••

لقد وصلنا بغداد فجر يوم حار •• واسرعنا لتوناكي نستريح في الفندق •• وفي نفس تلك الليلة قال لي

معروف .

ـ لسوف يحدث شيء خطير..الاحظت ؟ انهم يحشدون أنفسهم كالديدان ، انهم ينحشرون في الفنادق كما لو انهم تداعوا لحشر أرضي خرجوا من كل ثقوبهم وجاءوا الى بغداد .. لماذا ؟ أيمكن أن تكون المؤامرة ؟ لقد باعوا فلسطين ذات يوم وها هم يريدون بيع قطر آخر .. اقرأت قصة المزمار السحري ، الزمار الذي عزف لحنا فجر خلفه اطفال البلد واضاعهم في الجبال ؟ اقرأت تلك القصة ؟ كيف نستطيع أن ننقذ اطفال البلد من الزمار ؟ كيف ؟.

سقطت الشمس في نهاية الافق ، وبقي منها لون احمر يخضب الغيوم الواطئة .. بعض الجراد استطاع ان يقطع المسافة وهوى على الشاطىء منهكا يزحف بأرجله المنشارية نحو الرصيف .. تناول صديقي جرادة جديدة قصف اجنحتها الشفافة والقاها في الماء .. لقد تحركت قليلا ، ثم طواها الزبد واختفت ، وسمعت صوته :

ـ قتلوه هكذا .. تماما هكذا ..

ـ ولكن ما الذي قاده للموصل ؟ أنا أعرف انه يعيش ببغداد ..

ـ أتريد أن أقول لك نفس كلامه ؟ قال انه يريد أن يشم الحقيقة ، ان الزيف الذي غرقت به بغداد قد قطع في صدره كل امل بان يعود الى فلسطين .. وقال انه يريد ان يشم الحقيقة حيث توجد هذه الحقيقة .. وهو يعرف ان الموصل ليست مزيفة على اطلاق .. وهكذا فانه انتهز عطلته كي يطير الى هناك .

ـ حسنا .. ماذا حدث هناك ؟

ـ ثورة ..

بغداد .. كل شيء اصبح غير ذى معنى .. الديدان خرجت من بطن الارض .. واصبح يشعر بان الايدي الكثيرة بدأت تجره بعيدا بعيدا عن طريق العودة .. الحياة هناك تقوم على خطأ .. ماهو هذا الخطأ ؟.. انه يحسه احساسا صلبا ، ورغم ذلك فعليه ان يصمت من أجل ان يعيش .. لقد تشاجر مرة مع آخر وسرعان ما تكوم عليه الطلبة كالذباب .. وحين انقذناه من بين أيديهم كان وجهه متورما ، مزرقا .. وقلنا له ..

ـ لماذا كل هذا التعب؟ أتركهم .. انهم الان أسيادالجو.

قال وهو يلهث ..

ـ ثورة الزنج .. ثورة الزنج من جديد .. انهم يتآمرون على تاريخنا ، يطعنون أعز امانينا ، اولئك العبيد .. ثورة الزنج .. ولكن السواد في الداخل هذه المرة لا في الجلد ..

ـ يامعروف

ـ ماذا تفعلون هنا أنتم ؟ لقد تعودتم ان تعيشوا بلا هواء ؟ كالخنافس .. يجب ان نفعل شيئا .

ـ ماذا نفعل ؟

لقد فرضت المعركة عليه فرضا .. كان في الموصل حينما حدثت الشرارة..واضطر ان يقدم نفسه للحريق.

الموصل ، رفضت الدود الذي زحف اليها من بطن الارض .. وقابلت التحدي ببسالة .. كل شيء في المدينة الصغيرة كان راضيا عن نفسه قبل ان يصل زحف الديدان .. لقد كان يقف على شرفة دار صديق حين رآهم يقبلون بوجوه ممسوحة بحقد ما تحت الارض .. يحملون اقنعتهم على العصي شعارات سلام .. كالدود الذي يتقنع باللون الاخضر من أجل ان يمتص الحياة رويدا رويدا .. كان يقف على الشرفة ، وكانوا يمرون من تحته بعربدة لحظة خرجت من حدود العقل .. قال لصديقه ساعتها :

ـ لقد وصلوا الى هنا .. انهم يتبعونني حيثما ذهبت .. ولكن ياصديقي .. أرأيت كيف يتنفس القرن العشرون أرأيت الصراصير كيف تتحكم بمصير « أخيل » ؟ انها تلذعه من كعب قدمه وهو لا يموت الا من هناك .. ان الصراصير وحدها قادرة على قتل « أخيل » ياللسخافة .. تصور القرن العشرين ، قرن الصراصير .. لماذا لايقتل « أخيل » كل هذه الصراصير ؟

وفي الصباح هبط الجيش الى الشارع .. كان كل

شيء يحتم هذه اللحظة •• وهربت الصراصير من جديد •• وفي ذلك اليوم كان معروف في الشارع •• وقال لصديقه :

ـ مزيدا من الهواء •• مزيدا من الهواء لقد عاودني ايمان طاغ بانني سوف اعود الى بلدتي الصغيرة ما زال «أخيل» قادرا على التنفس •• ان كل شيء حسن طالما انه لم يمت بعد ••

وكانت تنير الشارع شمس حقيقية هذه المرة •• وكان معروف يتنفس بملء رئتيه من الهواء الذي يحبه •• وكان كل شيء يبدو حقيقيا من جديد • لقد اختفت الصراصير ، أما اولئك الذين صفقوا لهم طويلا فلقد التزموا الصمت بانتظار النتيجة ••

وفي الليلة التالية ، حدثت الفاجعة •• وقال معروف لصديقه وعيونه تدمع :

ـ مات أخيل •• وعادت الصراصير ••

ـ وماذا بودك أن تصنع ؟

ـ سوف ابقى هنا •

ـ الى متى ؟

ـ الى الأبد أيبدو لك الأبد بعيدا منذ اليوم ؟

لقد رفض معروف أن يهرب •• وأصر على أن يبقى هناك حتى تمتص الصراصير آخر خفقة ريح في المدينة البسيطة •• ولقد دأب منذ تلك الليلة على المسير في الشارع الرئيسي ذهابا وايابا وكفاه معقودتان خلف ظهره •• وكانت شفته السفلى ترتجف ••

وفي ظهر ذلك اليوم وقف صديقه على الشرفة •• ورآه في رأس الشارع غارزا رأسه بين كتفيه ، عاقدا كفيه خلف ظهره يتحدث مع مسلحين •• كان هادئا ، وكان يجيب على الاسئلة بلا مبالاة واضحة ، ثم عاد الى مسيره الهادىء كان يبدو أنه لم يجب على آخر سؤال طرحاه ، بل قاطعهما وعاد يكمل طريقه ••

لقد سار قليلا قبل ان يصوب الرشاش الى ظهره ، ثم تدوي الطلقات المتتابعة ويسقط معروف على ركبتيه وراسه بين كفيه ، ثم تعجز ركبتاه فيهوي على وجهه ••

كان يبدو في وضعه ذاك كأنه حفار حيل بينه وبين ان ينقب اعماق الارض ، فانحنى يشمها •• كأنه طير قصت اجنحته فسقط •• كأنه جرادة منهكة بعد رحلة قاسية سقطت ميتة على شاطىء جاف يابس •

وفي مساء ذلك اليوم كان جسد « معروف » مازال ملقى في وسط الطريق بنفس تلك الصورة •• وحينما غربت الشمس حملته سيارة مع اجساد أخرى واتجهت الى خارج المدينة •

ولقد تيسر لصديقه بعد يومين ان يرى ساعته وقلمه وعلبة دخانه مع موظف قال انه اشتراها ، أما جسد معروف فلقد دفن في حفرة واحدة مع اجساد كثيرة اضطجعت كما قال الحفار « كتفا الى كتف وقد بان على وجوهها رضى طاغ ، وابتسامة ساخرة • »

ولقد لفت نظر الحفار جسد هزيل قصير لشاب قتلته عشر رصاصات في ظهره ، كان الجسد يرفض أن يستوى مع بقية الاجساد ، كان منحنيا ، مرتاحا على ركبتيه وجبهته ، ولقد اضطر أخيرا لدفنه على تلك الشاكلة كأنه يصلي ••

بدأت الظلمة تهبط بصورة أقتم •• وكان صوت الموج قد علا حتى اصبح يطوي كل صوت آخر ، واضاءت السفن البعيدة انوارها فبدت في نهاية الافق قناديل مأتم تحملها ملائكة متشحة بالسواد ••

وصلت في تلك اللحظة جرادة حطت على الصخرة أمامنا •• ومد صاحبي كفه كي يلتقطها ، ولكنها طارت باندفاع مفاجىء •• متجهة باصرار فتى نحو المزارع الخضراء الممتدة خلف الرصيف •

الكويت ـ غسان كنفاني

موعد ...

شعر : حامد حسن

مِن عناد الدّل في جفنيكِ ،.. من لفت ازْورارِ

من شموخ الناهدِ ، المرتجّ في الصـدر المثارِ

من بحيح الناي ،... من طهـر اهازيج الصغار

من شعاعٍ غنجِ الرفة في ثغر النهـارِ

يمسحُ الاورادَ الا من نثارٍ ، ونثـارِ

انا من عينيكِ في دنيا اخضلال ، واخضـرارِ

فاسمعي صوتَ احـتراق الصبر في نارِ انتظاري

* * *

انا دنيا من وراء الغيب ، عـذراء الستار

ألضحى ، والحب ، في دربي اليهـا .... والدراري

يتطيـبن ... يغسلن سناهن بعاري

تمرعُ الصحراء ان رفتْ بها أنداءُ ناري

* * *

فاذا مالـجّ بي شوق الى أهلي ، وداري

وتفلت ُانفلاتَ الطيب من كمّ البهـارِ

واذا ما انحطّ كـبرُ الدهر عن زهو انتصاري

سوف القاكِ ، وراء الغيب ... خلف الانتظـارِ

سأعود اليه

بقلم

خالدة عبد الله

هربت من زوجي لاني لا أريد أن أبيعه جسدي ، واستسلمت الى الحب فوجدت النتيجة واحدة على الامرأة ان ترضي الرجل لانها اداة متعة كما يقول تولستوي انها جسد ، وجسد فقط لا تشده من صراحتي فهي الواقع ، والرجل لا يرى من الانثى غير الجسد ارضاء لحيوانيته، كذب ذاك الحب المثالي الذي يتحدثون عنه .. لقد سعيت أنا لاكون عميقة ومثقفة وواعية ، قرأت العديد من الكتب ورعيت عقلي وافكاري وعواطفي ولكن كل هذا لا يعدل شعري الثائر على كتفي ولا اللون الاحمر انتقيه بمهارة واصبغ به شفاهي ولا لفتة حلوة من عنقي الابيض أو جسدي الممتلىء ، تعرفت على انواع عديدة من الرجال عرفت الفنان والمفكر والعميق والسخيف وصاحب المركز المرموق والمغمور والمتعالي والفيلسوف والمثالي والعادي ماذا كانت النتيجة ، الجميع دون استثناء لم يروا في غير فتاة جميلة ودافئة ولم يهتم احدهم بافكاري ونضجي ورهافة مشاعري ، لأن الرجل يستحيل أن يعرف الامرأة ، ان يعرف ما تعاني انه في ذروة حبه يؤذيها ولا يدري .. لقد تحرقت أنا مثلا كامرأة الى يد حانية تضمني برفق ، والى صدر عريض استريح عليه الى ذاك الانسان يعرف هذا فيأخذني اليه ونغرق معا في سماع لحن هادىء وصمت عبقري وظلام ، ثم احدثه كطفلة صغيرة عن مشاعري وعاطفاتي والتصق به فيهدهد روحي الحيرى وعواطفي المتوترة ، ويحدثني عن اشياء صغيرة واتكتل في حضنه ويده تداعب شعري والاخرى تلفني فاتحرر من قلقي وحيرتي وانظر اليه باطمئنان انه يحبني حقا ويفهمني ، ارنو اليه بحنان واضمه الى قلبي والتصق به ، وابكي بصوت مسموع فلا يهزأ بي ويبعدني عنه ، بل يبقى معي ينتشي من لحني ويرتفع بي وتمضي الساعات واذ بي غير الانسانة التي كنتها اطير كالفراشة واشعر بالجمال والحياة والوجود ، نعم تمنيت هذا عمري ولكني لو طلبت النجم لسقط الي اما هذا فلا ، أأبقى الى جانب الرجل دون أن يأخذني اليه ، حتى ولو كان منبعا جنسيا .. هذا مستحيل .. لانه يحب جسدي ويريدني ، صديقتي الفنانة .. انها مرهفة ذكية رائعة حساسة ، مثقفة لكنها ليست جميلة .. النتيجة الجميع دون استثناء يهربون منها .. تتمنى الرجل أي رجل عبثا وبعدها نطلب من البنت ان تتعلم وتتجلى عن سخافتها ومظهرها ، لا انه وهم الحديث عن رقي الامرأة .. لان الامرأة الذكية حقا هي التي لا تملأ رأسها بافكار علمية لذا أقول عن سخيفة وبليدة لاني سعيت جاهدة لاجعل رأسي مليئة وافكاري ناضجة ونظرتي عميقة وعملت طويلا حتى تخليت عن سخف من حولي ذاك السخف الذي هو واقعنا ولكني ادركت بأن قطرة عطر تضعها الانثى في مكان معين بجسدها تعدل الف كتاب تقرأه.. قرط طويل يتحرك بدلال على جيدها يعدل شهاداتها وما تعلمته عمرها وثوبها الملتصق بجسدها والذي يفصح عن بعض اسرار ذاك الجسد ويستر الاخرى يفوق كل ما تحمله من ثقافة كنت اقرأ شيئا من انتاجي او انتاج من غيري بنبرة حلوة والقاء جيد أمام اشخاص المفروض انهم ادباء .. وان حياتهم بين دفتي كتاب ، فكان سامعي

يهتم بمنظري وجرس كلماتي اضعاف اضعاف اهتمامه بمعنى القصيدة .. لذا اعد نفسي سخيفة لأني لم أعرف هذا .. لم اعرف الرجل ذاك الكائن القوي لم أعرف انه سيد الطبيعة بلا منازع ومع ذلك تتركز حياته ووجوده على نظرة من امرأة جميلة ولفتة من جيدها ، كذب ما يتحدث عنه من حب ومثالية ونضال لتمتنع عنه الانثى لتبعد عنه ، عندها يرى الدنيا من هربها وتمنعها ويصبح معنى وجوده أن يلتقي بها وينالها .. وعندما ينالها يدير لها ويتركها او يستمر معها مضطرا او راضيا لانها ارضت كبرياءه ولم تهرب منه وتقل له اليك عني اني انثى لي مشاعري وعواطفي ولي نفسيتي الخاصة ومشكلاتي ، ولا تظن اني امزح ولاعد الى موضوع زوجي .

تركت زوجي ودخلت محراب العلم المقدس ونهلت من ذاك النبع الثر وظننت نفسي ملكت الدنيا بتحرري من التقاليد والرواسب والسخف والنظرة العنيفة المحدودة ولم أنس بطبيعة الحال جمالي واناقتي والاعتناء بهندامي كنت اتعلم كأنثى أي لم اضح بانوثتي .

ولا تظن اني اغالي والف لقد هربت من زوجي لاني كما قلت لك رفضت ان أبيعه جسدي وان أمثل معه دور بائعة الهوى تركته ودخلت محراب العلم المقدس ونهلت من ذاك النبع الثر حتى ارتويت وخلت اني ملكت الدنيا لقد استطعت ان اتحرر من التقاليد والرواسب والسخف والنظرة الضيقة المحدودة ولم اىس بطبيعة الحال جمالي وأناقتي والاعتناء بهندامي كنت اتعلم كأنثى أي لم اضح بانوثتي في سبيل علمي وقررت ان اقف من الرجل موقف الند الى الند أي أن أسايره باحاديثه واقرأ معه واعيش واياه بالمستوى الفني والعقائدي والفكرى وان يكون الحب ومن بعده الجنس نهاية طبيعية لهذا الوضع الرائع .. وجعلت من داري جنة فعلية ، الحان وازهار وافكار والوان وخرجت من قوقعتي التي عشت بها استعدادا الى النعيم الذي سأقيم فيه .. خرجت فتاة ناضجة عاطفيا وعقليا وجنسيا وعقائديا وبدأت حياتي العامة

وبقيت وجلة لا لن أعيش مع أي رجل اني بحاجة الى رجل احبه بكل معنى الكلمة وأعيش معه عمري ،وكانت نظرتي الى الحب ولا تزال انه عطاء انه بذل بسخاء وتضحية عطاء دون مقابل هذه النظرة الواضحة الجريئة جعلت اجثر من رجل يقترب مني اني لم اشترط الزواج ولم اطلب من الذي أحبه أي شيء يكفي انه سيمنحني الحب سيجعلني أرى الدنيا بمنظار رائع ولم تمض فترة طويلة حتى التقيت بذاك الانسان الذي حلمت به شاب متعلم ذكي لبق واحبني فانطلقت معه في شتى الاجواء ولم أقل له لا ، ولم أرفض له مطلبا ، وادخلته عالمي الذي يفهمه حق الفهم لانه مايبحث عنه وكنا نلتقي دوما على كلمة حلوة ونغم رائع ولون بديع وعجبت من نظرة الامرأة الى الرجل انه وحش واناني ويحب من الانثى جسدها .. صحيح ان حبيبي يحب جسدي ولكنه ايضا يحب قلبي المتمرد وعواطفي المشبعة ، يحب افكاري الناضجة ، يحب تصرفاتي اللبقة أي يحبني ككل وطبيعي ان يحب جسدي وانطلاقي معه وان هذا الحب ضرورة وقلت سأتحدث عن هذا الحب الذي عرفته وذاك الحبيب وان كل حب عداه وهم وسأقول ان الرجل يحب عقل الامرأة وقلقها وافكارها .. ولكن مهلا ان هذا الحب الذي عرفته وذاك الحبيب الذي عبدته وحلقت معه بشتى الاجواء .. وكان كما اردته لبقا مهذبا ناعما ، ولكنه في الحقيقة لا يختلف عن غيره وهو لا يستطيع ان يتصرف ان يكون انسانا وحيوانا التهم ينهش جسده ويشل تفكيره لامتنع عنه مرة لاقل له لا ، لأقف منه كتمثال لا لشيء بل لانني بوضع خاص عندها كان يصبح كأي رجل آخر ، يحتمل هذا انها اهانة له حاولت مرارا أن أفهمه بان الانثى لا تكون دائما بنفس التوتر العاطفي والجنسي وتخضع الى دورات اثبتها العلم ، وانها في حالة الركود لا تريد الرجل (أي لاتريد الاتصال به) تريده حاميا لها ، لانها تشعر بضعفها بهذه الفترة ، تريده دافئا محبا واحيانا تشمئز من الاتصال به .. ولكن اني له ان يفهم هذا المنطق بل هذه الحقيقة وماذا يصنع بنفسه ، بجسده

بغرائزه بحيوانه الهائج وما ذنبه ان كنت أنا دافئة وشهية ويحبني وأثيره ولا يستطيع مقاومة اغرائي وسحري ، وان استمريت بالرفض سيظهر ذاك الحيوان الكامن به على جميع تصرفاته وحركاته والفاظه ونظراته ويزمجر .. ماذا اصنع اني لا استطيع ، اتعرفين هذا اني لا استطيع تعالي الي بربك تعالي من أجلي أنا ، تعالي اني أريدك ، ضحي هذه المرة من أجلي الا استحق ذلك .. فلا يسعني الا الطاعة والخضوع انها نفس الكلمات والحركات تكرر باشكال عديدة ولكن المعنى واحد هو الرغبة بالحصول على الانثى بأي وقت بل بالاحرى بالوقت الذي ينتقيـــه الرجل ويرغب به .

يذهب الزوج الى رحلة ممتعة ، كل شيء جميـــل ودافيء وهو رجل مكتمل الرجولة والصحة والقوة ، يعود الى بيته ويسرع الى زوجه .. انه لا يستطيع النوم دون استكمال نشوته ، ومن غير زوجه لذلك وهي قـد تكون نائمة او قلقة بجانب ابنها المريض او بحالة نفسية خاصة كل هذا لا وزن له ولا قيمة انه يريدها وما عليها الا الطاعة .. يستمع الى لحن عاطفي ، فينتشي ويسكر من النشوة ومن غير زوجه لارواء واشباع هذه النشوة.. وهكذا فان حب الرجل لايكتمل دون جنس ، دون أن يتصل بالامرأة هذه حقيقةلاغبار عليها لان الانثىلاتكتمل انوثتها دون جنس ودون رجل يأخذها اليه ويشبـــع غرائزها ، فاتصال الانثى بالرجل ضرورة ، ولكن هناك أوقات تكون الانثى بها في وضع خاص وتكون بحاجة الى الدفء والحنان والمعاملة الحانية ، تكون اما وان في هذه الفترة الفترة لا تريد الرجل أي لا تريد أن يأخذها .. فيتوسل ويتوسل عندها تضطر الى مسايرته وارضائه على حساب نفسها وحياتها وواقعها ، الجنس ضرورة ولكن ان يكون هدف الحياة فهذا صعب وصعب جدا .. ما أجمل تلك الساعات التي تشعر بها الانثى بضرورة التصاقها بالرجل لتحقق ذاتها ووجودها في تلك اللـــذة المشتركة ، تلك اللذة العلوية التي تنتج عن علاقة قدستها كل الاديان والمعتقدات والتقاليد لانها تعطي أفضل الثمرات

وهذا معروف فثمرة الحب دائما اروع الثمرات والحب هنا الحب الجنسي الذي هو حصيلة الحب الكامـل ، ذاك الحب الذي تحلق به الانثى وتندفع اليه وتترك العالم وتلحق به ولو كان فيه هلاكها ويمثل الرجل الذي يمنح هذا الحب الاله ، فتهرع اليه الامرأة من أجل جزء من الثانية ، من أجل تلك الخلجة ترجف في اعماقها فتشل كيانها وتغمر وجودها فترى الدنيا والوجوه من خلالها .. وتموت بكيانها الخاص لتعيش تلك اللحظة وتنطلق الى الابدية الى الاغوار العميقة الى اللانهاية وتتعرف على المطلق الى سر الخلود .. اما ان يأخذها الرجل عندما يشاء وتقدم له جسدها طائعة أو غير طائعة وتفتح شقا في وجهها يعني البسمة وتطلق صوتا يقال انه ضحكة وتتحرك بحركات فارغة ميتة وتغيب لحظة لتوهم رجلها انها معه بل لتتخلص من غلاظته وحيوانه وهنا تشعر باهانتهــــا ونقمتها وبأنها بائعة هوى .. أجل كل زوجة بائعـــة هوى وكل امرأة تعطي جسدها الى الرجل أي رجل حتى ولو كان زوجها دون شعورها العميق بضرورة الالتصاق بذاك الرجل ، ودون أن تدفعها الرغبة الملحة او الحاجة القوية اليه هي بائعة هوى حتى ولو كانت قديسة ، وان الرجل كأي رجل لا يعرف هذا وان عرفه تعامى عنه.. لانه اسير حيوانه أسير غرائزه ، ويرى الامرأة من هذه الزاوية .. وما دام الرجل كل رجل يعامل الانثى كل انثى في معظم الاحيان كبائعة هوى ويطلب منها ان تلبي حيوانه وان ترضيه وان تمنحه جسدها ساعة يشاء ، وما دام كل رجل يطلب هذا ويرغب به ، فلا تستطيع الانثى ان تقول لا أن ترفض ، وما دمت وجدت زوجي كل رجل اذن لماذا لا أعود اليه ، نعم لماذا لا أعود ؟؟ سأعود الى زوجي الى ذاك الخنزير الكبير ..

نظر الي محدثي دهشا فقلت بسخرية مريرة ، لاتذهل .. أنا أعرف أنك تستغرب هذا ، كيف اعود ذاك الانسان التافه الغارق في حياته الخاصة والذي لم يجد في غير جسد ممتليء واعضاء متناسبة ولكن ألم ينظر الي كل رجـــل نفس النظرة ألم تتعلق عيناه بشفتي الممتلئتين وشعري

الطويل الثائر ، ألم تطلب مني ان امنحه هذا الجسد ألم يتحرق شوقا وجنسا الى احتوائي ألم يستعمل لذلك كل مهارته ، اذن ما الفرق بين زوجي وبين أي رجل آخر •• زوجي الذي تزوجته طفلة لم تبلغ الخامسة عشر ذكية مرهفة كلا لم أتزوجه أنا وانما باعني أبي اليه لقاء لا شيء وقذف بي الى ذاك البيت الذي اجهل كل شيء به ، فرح بي ذاك الرجل الى سمي زوجي (نعم ذاك الشيخ بارك ذاك الزواج) فرح بي صاحب البيت الذي يقال انه بيتي مع اني ما أنا الا دمية صغيرة اتحرك واغيب في بحر من الكآبة والضياع والدهشة والغربة التي كانت تنبع من كل شيء حولي ، فرح بي واحبني من عمق اعماقه العنيفة النتنة ومن الطبيعي ان يعبر عن ذاك الحب بشتى الوسائل وافضل وسيلة هو الاتصال بي واغراقي في الحب المستعر واللذة المشبوبة ، انه يحبني ويريدني معه باستمرار لاعمل ولا تفكير ولا آخرين غير أنا وهو وغرفة متطرفة وسرير يضمنا ورجل يعطيني خلاصة جسده ونشوته وماذا أريد أكثر من هذا ، وماذا يحق لي أن اطلب ، ان زجي يحبني ويريد التعبير عن هذا الحب في وقت يشاء ، وما علي الا الطاعة والا أنا لم احبه •• أردت ان افهمه إنها ليست قضية حب اني انسانة لي وضعي الخاص ونفسيتي الخاصة ولي مشاعري ووضعي ولكن عبثا كنت أحاول فأنا زوجه وملك يمينه وتزوجني ليتمتع بي لامنحه جسدي اما أن اقول لا اما أن امتنع فهذه معصية لله وجريمة لا تغفر واني أحب غيره واني خائنة كافرة الى آخر ما هنالك من تهم أنا بريئة منها ، وبقيت في البيت الكبير ونظرت حولي في سجني الفظيع بوجل واشمئزاز واذ اقذر حيوان أفضل مني حتى الهرة تستطيع الهرب الحشرة الصغيرة الدودة الحقيرة تختبىء وراء الحجر أو تحتمي به اما أنا فعلي أن أمنح جسدي كأية بائعة محترفة الى ذاك الانسان امنح جسدي دون حتى مقابل اللهم سوى ايوائي بتلك الدار أو ذاك السجن وهو خلق ليتمتع بي فأنا بالنسبة اليه جسد بكر واعضاء متناسبة ولذة تروي بنهم وجنون وزوجه ولانقل اليك صورة عن حياتي في ذاك الوقت ••• في الليل عندما يضم الظلام الكون بحب وحنان ، يضمه بدفء ونعوز ونعومة اتكتل أنا بزاوية الغرفة أترقب صرير الباب لينفتح عن القامة القميئة والهيئة الكريهة فأجمد وتنقطع انفاسي وارتجف بخوف وتصلب عضلاتي فيقترب مني بخطوات ثقيلة ويشدني اليه ويهمس باذني بكلمات الهوى المبتذلة ويداعبني بغلظة فتنقلب هيأته وتستدير عيناه وتسترخي شفتاه وترتجف اوصاله ويتحرك حيوانه بعنف فيأخذني اليه بغلظة ويعريني من ثيابي ويتأملني بل يبتلعني بنظراته الحيوانية ويضغط على كل ناحية من جسدي يريد التحقق من وجودي بين يديه فاتلوى من الالم والقرف والخوف والاهانة ، واشعر بذلتي وتبكي روحي وتئن ، وأصيح من أعماقي أرجوك اني انسانة ، أرجوك دعني قليلا اليك عني ، لا تهبط هكذا فوقي بكل ثقلك لا تترنح من النشوة على حساب تمزقي وألمي واهانتي ولكن الكلمات لا تصل شفتي بل تموت باعماقي ، واحاول ازاحته عني عبثا ، فاختنق وشعر ان الغرفة تداعت جدرانها والسماء اطبقت على ارضها وهو معي يتحرك بغلظة انه كالطود كالجبل وعود الى توسلاتي الصامتة فيرفض وطبيعي ان يرفض لانه يريد أن يصهرني أن يتم نشوته ، آه مامن شيء يعدل تلك الدقائق فان ذل الانسانية وعبودية الانثى على مر الاجيال كانت تتجمع بقلبي بتلك اللحظات اني عبدة ذليلة بل أحط من العبيد والحيوانات ، عبدة لا أملك ابسط جزء من جسدي ولا أملك الكلمة اقولها ولا الحركة الصغيرة ادفع بها اكبر مصيبة تحيطني وكانت هذه المأساة تتكرر كل يوم ومع ذلك سأعود اليه مع انه هو هو لم يتغير ولا يمكن أن يتغير ومع ذلك سأعود اليه لانني ادركت بعد تجوالي الطويل المتعب وبعد تجربتي العميقة مع الرجل وحياتي بين يديه بكل جو انه صورة عن كل رجل ، ولا يختلف عن غيره ••• لذا سأعود اليه وسأبقى الى جانبه أرقب قدري ونهايتي ••• أجل سأعود اليه •••

« جنية السلم »

شعر : محمد الحريري

أصعدي أول درجة

تتمنى

واصعدي ثانية نشوى

تغنى

أنت في السلم سحر

يتثنى

ذروة السلم شوق

لوصالك

والثرى المشبوب حزن

لارتحالك

فقفي في النصف اني

تحت انظر

بعض ومض يختفي طوراً

ويظهر

لاتخافي بعد لحظي

أي عثرة

انا والسلم ادرى

بالمسرة

فاصعدي آخر درجة

تتمنى

أنت في الذروة نجم

غاب عنا

غير عطر وظلال

في الزوايا

رقدت في الدرج الصافي

نوايا

. . .

« لماذا ؟ »

شعر : فؤاد العادل

لماذا تطوقني الذكريات ويلدغني أفعوان الحيـــاة ؟!..
ويجلدني بالسياط الزمان ويذبح في صدري العنفوان؟!..
وتعول حولي رياح الشقاء ويجرح خطوي سكون المساء؟!..

* * *

لماذا تقطب تلك الزهور ويخنق في وحدتي كل نور ؟!..
وأنفح ودي من خافقي وأحمل كوني على عاتقي ؟!..
كأني حقيقة هذا الوجود أعيش لأذقو مرار الجحود ؟!..

* * *

لماذا أســـاق الى مبهم وفي شـفتي بقـــايا دمي ؟!..
وحريتي تزدري بالعبيد وتنسج فجر انتفاض جديد ؟!..
تعانق فيه خلود الحقيقة ويعرف روحي اليها طريقه ؟!..

* * *

لماذا يسلط ظفر وناب وتنهش صدر الحياة الذئاب ؟!..
وتعصف بي عبر تيه الضلال ابتهالات كون صداها محال؟!..
كأني أســـاق الى هاوية افاعي اعمـــاقها ضاريه ؟!..

* * *

لماذا أواكب طيف الضياع وأحنو على امنياتي الجياع ؟!..
وتحجب عني شمس النهار ويجفل مني كل انتصار ؟!..
وتسلمني وحدتي للسـأم لينشب في نيوب العدم ؟!..

* * *

لماذا تلح علي الرسالة وتنسج في الغيب لي ألف هاله ؟!..
لأحمل آلام كون ذبيح وأسقي الحياة نجيع جروحي؟!..
وأنصب للحق ميزانه وأرفــع للعــدل فرقانــه ؟!..

* * *

لماذا أسائل عن مرجعي وعن منتهاي وعن موضعي ؟!..
وجسمي هل غاب طي التراب وروحي هل علقت في السحاب!؟..
اذا كنت أحفر درب الخلود فتنشق آباده عن وعود ؟!..

* * *

لماذا أجاذب هذا السؤال وأرصده في مدى كل بال ؟!..
لماذا أحمـــل آلام شعبي وأحضن كل أساه بقلبي ؟!..
أليس لأني أنا الشاعر وأني أنا البــدء والآخر ؟!..

من ذكريات بدوي ...

شعر : احمد مشاري العدواني

كنت هنا ، وكان لي ، بيت من الشعر
نسجته ، صنع يدي بالصوف والوبر
قام على رابية مخضرة الطرر
تؤمه الضيفان بين مرتقي ومنحدر
والشمس تفتر له ويضحك القمر

* * *

كنت هنا ، وكان لي على الحمى مقر
ملاعب الربيع بالاعشاب والزهر
تمرح في أنحائها الأغنام في بطر
قد سرحت فاجتزأت أطايب الثمر
وعبرت بنزق عن عيشها النضر
تباركت تلك الشياه ... ما نمى خبر ...
زاد حياتي كله من جودها انهمر
اللبن المخيض بالزبدة قد خثر
وربما طبخته بالنار فانشمر
وعاد اقطا ملء سقف بيتي انتشر
كقطع من الجين سلكها انتثر
لذيذ مسعفة في الحل والسفر
وللصبايا لعب يمضي بلا حذر
توأثبت فيها الحياة وثبة الظفر
فانطلقت باسمة الآصال والبكر
مثل فراشات الربيع لونها سحر
كم عبثت بكلبي الامين فانزجر ...
أو مس منها موضعا مساسه خطر ...
أو شلها فعثرت وبان ما استتر ...
فانقلبت ضاحكة .. لكن على خفر ...

ولي اذا جن الدجى وائتلف السمر
مع الصحاب مجلس بالأنس قد عمر
تدور فيه قصص عن زمن غبر
تروي أحاديث الهوى والمجد والسير
عن الجدود الأولين من معد أو مضر
وكيف رام عنتر عبلة فانتصر ؟
وكيف ساد حاتم وسيبه غمر ؟
مناقب فيها لنا الحكمة والعبر
والشعر .. ما أجمله !! فرائد غرر
تبعث في أنفسنا الأشواق والذكر
وللأحاجي عندنا ما يبهر الفكر
نرسلها تحمل في ألغازها الحير
و « دلة » القهوة تستضيف من حضر
اتكأت في موقد معربد الشرر
تنعشنا بنكهة يحلو بها السهر

* * *

ياليت شعري!!ما أرى ؟؟ ما فعل القدر !!
عفى على آثارها ناس من الحضر
ملاعب الجمال قد حلت بها الغير
شادوا عليها لهم القصور من حجر
كأنها مقابر معكوسة الصور !!!
كنت هنا وكان لي بيت من الشعر
وذكريات نفحت من زهرة العمر
الحب فيها والمنى والظل والشجر
واليوم ما لي ها هنا بيت ولا أثر ...!!!

أحمد مشاري العدواني

الوحدة الكبرى

بقلم

عبد الله بن سنان المحمد

أفي الشام هذا العرس أم في ربى مصر … وهل هذه الافراح للقطر والقطر

أم ابتهجت ارض العروبة كلها … فاصبحت الاقطار ترفل بالبشر

وأصبحت الاعياد في كل بلدة … تقام بأنواع الاهازيج والزمر

وتنحر أنغام على مذبح الفدا … فلم يبق ذاك اليوم شاك من الفقر

لقد أحدث التاريخ أروع حادث … يمهد ما استعصى من الوحل والوعر

ويشعل نبراس الهدى في مجاهل … تحير في ظلمائها واقد الفكر

فغير مجراه وامسى ميمما … الى جهة تسمي الى الانجم الزهر

موفقة فيها الخطى وبنورها … تنقل من نصر عظيم الى نصر

واشرق نور الحق ليلة وقعت … بها الوحدة الكبرى فتمت على خير

نعم ليلة التوقيع في رفع شأنها … كما قال (صبري) انها ليلة القدر

لقد أدمج القطران ليلتها معا … ثلاثون مليونا تبختر بالفخر

وقد أصبح القطران قطرا موحدا … فلم يعرف الشامي فيه من المصري

وتمت بحمد الله وحدة أمة … مشعبة لها تستقر على أمر

تلاشت ولولا رحمة الله لم تعد … تقود بنيها المخلصين الى الفجر

فقد حقق الله الاماني التي أتت … بها لأبادة الضيم من عظم القدر

بها ما لون الدهر فتش ما مضى … وصفح من سفر مليء الى سفر

لما عثرت عيناه يوما بما جرى … كما في كل القطرين من وحدة تجرى

بهمة (عبد الناصر) القائد الذي … بني صرحنا العافي وصاحبه (شكرى)

هما بعثا كي يبعثا أمة الهدى … وكاد بها يودى السقام الى القبر

أعاد ذوي العود أخضر يانعا … وقد أرجعا ما فات في سالف الدهر

لقد حققا مالو تكهن عاقل … به لرموه بالجنون أو الكفر

ولو قلت هذا الشرق سوف يقوده … الى النور أفذاذ نسبت الى السحر

فقد اتيا بالمعجزات ولم تقف … على حد ما جاءآ به همم الحر

وكبر في الشرق الأذان على العدا … وقد صفعت حمر الرقاب به السمر

وقد قبح المستعمرون بغربهم … دحورا وباءوا بالهوان وبالخسر

ندم

« الى دمشق التي احببتها !! .. »

بقلم

جورج سالم سيف

يوم كان البعيد ، يسخر من شوقي ، ويروي مأساة حبي الغريبة
ويثير الحنين ، في عمق ذاتي « الف آه » ، على الجراح خضيبه
كنت أغلى من الدموع بعيني ، وأندى من الجفون الرطيبه
كنت ، ربا يرف في شفتيه ، حلم عمري ، وامنياتي الحبيبة
غير اني وقد سغمت ربيعي ، في نزوحي ، على أمان سليبه
وتعرت من الحياة ، أحاسيس ، وجنت على بقايا المصيبه
كنت ادري ، بأن لذة غلوائي ، سراب ، يشق وهمي دروبه
كمسيح ، يمل أحلى لياليه بعنف ، ولا يمل صليبه

وهدت مروح الخائنين عليهم — وماتوا من الغيظ الممزق والقهر
فما بقيت في الشرق عين نؤومة — على ثرة الا وهبت الى الثأر
ولم يبق مشغول بكاس ولذة — سوى الخائن المنبوذ والجاهل الغمر
بلينا بهذا الغرب حين توافرت — مطامعه فاحتل بالناب والظفر
واصبح هذا الشرق مرعى ذئابه — فلم يبق أرض لم يذقها من الضير
الى أن أتاح الله (شكري وناصرا) — لنا فأزاحا دولة الظلم والجور
بطرفة عين أوجدا الامن والرخا — ونام قرير العين ذو الخوف والذعر
وباتت شعوب الارض تستمع الندا — نداء به نشل السلام من القعر
نداء به نشل السلام ونشره — على الارض حتى تطمئن من الخثر
فلا صاحب الدولار يغري رجالنا — به أو يحابى قومنا صاحب البتر
فيا ناصرا هذي الشعوب بأسرها — مبايعة ان لا تحيد عن الامر
ولا تنثني يوم الجهاد اذا دعت — اليه العلى اذ ليس ثمة من عذر
مقدمة أرواحها ونفيسها — الى الوطن الغالي الى رفعة القدر
فيمم بها فالله أسند أمرها — اليك ووجهتها الى الفوز والنصر

ـ نحن نعرفه جيدا ـ

قصة بقلم : محمود يوسف

انني أكرههم ...

هؤلاء الـذين يتركون آلات التصوير تتـدلى مـن أعناقهم ، ويحملون في أيديهم ملفات صغيرة ، ويضعون في جيوبهم أقلام حبر مهيأة ... ثم ينطلقون متجولين من مكان الى مـكان ، ويلتقطون الصور ، ثـم يسألون ويسألون ، ويتحدثون مع هذا وذاك.. وأخيرا ينشرون ما كتبوا ، وما رسموا في صحف بعضها تصدر كل يوم وبعضها كل أسبوع أو كل شهر ...

انهم يذيعون ما كتبوا وما رسموا ... وليت كثيرين منهم ما أذاعوا ولم يرسموا أو يـكتبوا انهم يذيعون ، حفظ الله آلاتهم وأقلامهم ، وكأنهم يقولون لنا : خذواء ... اقرءوا ... اقرءوا وانتم في بيوتكم على حين نشقى نحن حملـة الاقـلام ، وآلات التصوير وملفات الورق الابيض ...

انني أكرههم ...

لن تستطيع أن تميزني ، أنا الذي أكره هؤلاء ، اذا رأيتني في شارع مزدحم ، أو حانوت كبير أو مقهى أو ملهى... لن تميزني من بين ، خلق الله ، الذين تكتظ بهم أمثال هذه الاماكن ...

لا ، بل انك لن تراني في واحدة منها ، فأنا لم ... « أسم » بعـد الى مرتبـة السير في شارع مزدحم ، أو الدخول الى حانوت شـراء كبير ، أو الجلوس ، كمـا يجلس كثيرون في مقهى ، يرقبون بتكاسل وتراخي من يمر أمامهم ، ثم ينعمون على هذا الذى مر ، بلقب أو نكته أو وصف ، لا يعجبنا نحن ... البسطاء ، ينعمون عليه بذلك واذا لم يعجبهم شكله،أو ملبسه ، أو اسلوب سيره ... كما كان يحدثنا أبناء بلدتنا الاثرياء ، الذين قدر لهم أن يروا بلدانا أخرى غير بلدنا ...

بل لن تراني في ملهى ، والذي وصفه لنا هم أنفسهم الذين رأوا بلدانا أخرى ، فقالوا عنه .. انـــه مـــكان يعب فيه اللاهون من صنوف اللذة عبا ، ودون حياء .. لا ... لن تراني في كل هذه ...

لا بل لن تراني أنا نفسي ، ولـــكنك سترى غيري كثيرين ، حالهم تشبه حالي .. وكأننا جميعنا من كتلة طين واحدة ، جبلت ثم مزقت أجزاؤها ، نثرت فوق هذه الارض الطيبة ..

فأنا من قرية صغيرة .. على سفح جبل جميل ـ في احدى امارات الخليج ، ووراء قريتنا جبال عالية شامخة .. نسمع منها أصوات انفجارات القنابل ، وأزيز الرصاص ودوي المدافع ، ففيها يقاتل اخوان لنا ، حالهم تشبه حالي وحال من هو من نفس كتلة الطين ، الجنود الانجليـز وعملاءهم وجواسيسهم .. ان وراءنا جبال عمان كتلة الدم والنار .. وأمامنا امتداد الخليج ، الخليج العظيم ، الذي قذف اللؤلؤ السكان حوله .. اللؤلؤ الابيض ، واللؤلؤ الاسود ..

وقد قدر لنا أن نحصل على شيء مما يقذفه هـــذا الخليج من لؤلؤ أبيض ، الا أننا لازلنا محرومـــين من خيرات اللؤلؤ الاسود ..

انا من مواطني قرية صغيرة ، في امارة صغيرة .. من امارات ساحل عمان ، تلك الامارات التي يطلقون عليها اسم : الامارات المتصالحة .. وطبعا اصحاب هذه التسمية هم الانجليز ، الذين يريدون لهذه الامارات الهدوء ، فلا

تستنزف شيئا من جهود الامبراطورية فربطوها بمعاهدات ضمنت لهم ما أرادوا ، فلا عدوان من واحدة على أخرى، ولا صوت يرتفع من حكام واحدة منها في وجه الامبراطورية العجوز .

وقريتي هذه ، اسمها « شعم » ، وعلى رغم جمالها ، الذي يهز كل من يراه ، والذي وصفه لنا أستاذ المدرسة اللبناني الذي كان عندنا منذ سنوات عدة ، بأنه لايقل عن جمال القرى في بلده لبنان ..

وأنا لا أعرف شيئا كثيرا عن لبنان ، الا ماكنت أسمعه من أستاذ قريتنا اللبناني هذا ، فأنا أعرف أن هذا البلد يسكنه أناس يتكلمون بلغة لانفهمها ، لقد أتى هؤلاء الى قريتنا ، وكثيرا ماقتلوا منا ، ونهبوا من ارضنا خيراتها ، واعتدوا على شبابنا ، وعلى ضعافنا ، اننا نحن نكرههم ، ونتمنى لو حرمنا من رؤيتهم .

انهم يختلفون عن استاذ مدرستنا اللبناني ، والاستاذ الفلسطيني ، والاستاذ من العراق الذين كانوا في مدرسة قريتنا ..

ان قريتنا « شعم » ، يعرفها كل سكان رأس الخيمة ، والتي هي « امارة » على رغم قلة سكانها ... ان عدد نفوس امارتنا لايبلغ جزءا من مدينة ، كما قال لنا أساتذة المدرسة ، رغم ذلك فنحن نعيش في .... امارة !!.

انني أقطن بيتا نبنيه بأنفسنا ، دون أن نستعين بمهارة بناء أو ترتيب مهندس ، فبيوتنا نبنيها من جذوع النخل ، ونسد جدرانه وسقفه بالسعف القاسية ، من نخيلنا المحبوب ، اننا نقول عن بيوتنا : هذه البيوت تقينا الحر والقر ، ولكن صدقني فهي لاتقي من حر ولا من قر ..

والبحر أمامنا وهو بحر جميل ، نعتمد عليه في حياتنا ، ففيه الانواع الكثيرة من الاسماك الكبيرة والصغيرة، وبعض هذه الانواع الكبيرة مؤذ لنا ، فكثيرا ما هاجمت هذه الاسماك اصدقاء لنا في البحر ، نزلوا من قوارب صيدهم ، أو أبعدوا أثناء سياحتهم، فنهشت هذه الاسماك أجسامهم..

كما أن بعض هذه الاسماك سام، ونحن نعرفه لاعتيادنا الصيد ، فالصيد ، صيد البحر ، هو مهنتنا ، غير أن هذه المهنة لاتتيح لنا ، أن نجمع أموالا، نسافر بها ، أو يساعدنا على أن نبني المساجد الفاخرة ونقتني السيارات الجميلة كما يفعل غيرنا ، فنحن قد رأينا بعض هذه السيارات أثناء مرورها قرب بلدتنا ، فمهنتنا هذه تمنحنا صيدا ، نأكل معظمه ، ونبيع منه الشيء القليل ، فكثيرون منا في هذا الساحل صيادون ..

وما نبيع من هذا الشيء القليل ، لايسمح لنا أن نقتني أكثر من كسوة واحدة ، ندخرها لأيام الشتاء ، أما في الصيف ، وحين اشتداد القيظ، فنحن نلتف فقط « بوزار » ربما لاتعرفون ماهو « البوزار » انه قطعة من القماش الملون ، نلفه ، كما قلت حول وسطنا ونثبته بحزام ، أو بشد أطرافه .. أما صدرنا فيبقى عاريا ، ولعل هذا يخفف من حدة القيظ على أجسامنا ، فنحن نستر أجسامنا بالكساء في الشتاء كي ندفأ ، أما في الصيف ، فلا نزيد في دفء هذه الاجسام ، لا نرتدي كسوة في الصيف ، اذا كانت هذه الكسوة وحيدة عندنا ، وكان عدم ارتدائها صيفا خيرا من ارتدائها .. لئلا نزيد أجسامنا حرارة على حرارة ..

ان القيظ يشدي أجسادنا ، لابل يحرقها .. هل رأيت يوما بنا قد « حمص » ، ان أجسامنا كالبن « المحمص » ، انها الاجسام « المحمصة » .

ولكن هذا الشوي خيرة لنا من زيادة الحرارة على أجسامنا ، واتلاف الكسوة الوحيدة عندنا ..

اذن ، فصدقني حين قلت لك .. ربما لاتراني في شارع مزدحم ، أو حانوت شراء كبير ، أو مقهى أو ملهى ، صدقني لانني لم أصل بعد الى « مرتبة » السير في شارع مزدحم ، أو الشراء من حانوت بيع كبير أو الجلوس في مقهى ، أو التعرف على مايسمونه ملهى .

ومع ذلك فانني أكره هؤلاء الذين يتركون آلات التصوير تتدلى من أعناقهم ويحملون في أيديهم ملفات ورق أبيض صغيرة ، ويصفون في جيوبهم أقلام حبر مهيأة ، ثم ينطلقون يرسمون بآلاتهم ويكتبون ...

لقد رأيت يوما في يد أحد أساتذة المدرسة عندنا ،

شيئا كالكتاب الذي يحمله تلاميذ المدرسة عندنا ،التلاميذ الصغار ، وهذا الكتاب قليل الاوراق ، مملوء بالصور ، قال عنه استاذ المدرسة : انه يسمى صحيفة ، يخرجها كل اسبوع رجال يتتبعون الاخبار ، ويلتقطون الصور ، ويتجول بعضهم في البلدان ، ويسمون رجال الصحافة الى أن كان يومه ..

فقد رأيت رجلين تتدلى من أعناقهم أشياء عرفت أنها آلات يلتقطون بها الصور التي نراها في الكتب أو منع الذين يسافرون خارج القرية ، وفي يد كل منهما حقائب عرفت أن فيها أوراقا بيضاء ومعهم أقلام الحبر تطل من جيوبهم ..

اسرعت الى أستاذ المدرسة ، فقال :

ـ انهم يا أحمد الرجال الذين حدثتك عنهم ،وهؤلاء ممن يكتبون في الصحف .. ألم تر واحدة منها ذات يوم معي ..

نعم ! لقد رأيت واحدة ..وعرفت أن أسمها صحيفة.

اذن فقد قدر لي أن أرى بعضا من رجال الصحافة..

اسرعنا اليهما .. ودعوناهما الى بيوتنا المبنية من سعف النخل الحبيب وجذوعه ، وقدمنا اليهما من طعامنا الحلال من صيد البحر ، ألم يحل لنا صيد البر البحر ، ونحن نلجأ الى البحر نصيد فيه رزقا حلالا ..

أخذناهما الى شاطىء بحرنا الجميل ، والى ينابيع قريتنا الممزوجة مياهها بدماء اخوة لنا يتساقطون فوق الجبال القريبة منا ، وهم يقاومون الاجانب عن أرضنا ، الذين يريدون سلب خيراتنا ، ويقتلون شبابنا ..

ان هذين ليسا أجنبيين عنا ،وكيف يكونان كذلك ؟.. ألا يتكلمان لغتنا وقد أتيا ليصورا مناظر بلدتنا الجميلة ، ويكتبا شيئا عنا ؟.

كم سيكون سرورنا حين نرى ينابيع « شعم » ، في احدى هذه الصحف التي كان يحمل الاستاذ بعضا منها..

ذهبنا معهما ، وحدثناهما عن كثير وكثير من أمور قريتنا الى أخرى وثانية وثالثة ..

وأخيرا عادا الى « رأس الخيمة » ، مركز امارتنا ، والتي سميت الامارة باسمها ، وقد سمعنا فيما بعد من استاذنا الذي سافر الى رأس الخيمة البلدة ، أنهما تجولا هناك وتجولا ، وسألا وتحدثا مع كثيرين ، واكرمهما كثيرون ، فنحن ، كما تعلم ، عرب نستميت في اكرام الضيف ، كما نستميت في حب أرضنا وبلدنا ..

كما قال لنا استاذنا انهما زارا أيضامزارع « منصور » القريبة من « رأس الخيمة » البلدة .

لقد نسيت أن أحدثك عن منصور هذا ..

انه مغتصب يملك مزارع كبيرة بقرب رأس الخيمة البلدة ، في امارتنا الصغيرة ، فأرضنا خصبة ، ومنا من يزرع حين يكره حياة صيد البحر ، أو اذا كان قد ربي في بيت يحب أهله الزراعة .

غير أن الزراعة لاتبقى المهنة الغالبة لنا نحن أهالي « رأس الخيمة » ، ولكن المهنة الغالبة هي صيد البحر .

أعود لمنصور : هذا ، انه سلب خير أراضي امارتنا ، وأقام عليها مزارعه الواسعة ..

انه الآن مهندس زراعي ، قدم الى بلدتنا ليقود النهضة الاقتصادية في هذه الامارة ، وليفهم أهلها أن الزراعة خير من الاعتماد على صيد البحر ، وصيد البحر فقط ..ولكن أي مهندس هذا ، فنحن نعرف من أتى به ، ومن منحه الارض ، ومن اسبغ عليه صفة « الهندسة الزراعية » .. ونحن نعلم عندما منحت له هذه الارض مكافأة .. لماذا لم يسألانا ، ويسألا غيرنا عن منصور الزراعي هذا ؟

لا ... لابد أنهما سألا ، وسيعرفان عنه كما نعرف نحن ، وأكثر ، أليسا صحفيين ، يحملان آلات التصوير وملفات الورق وأقلام الحبر التي تطل من الجيوب ؟.

ان « منصورا » سيكرمهما ، سيكرمهما كثيرا ، كي يكتبا عن النهضة الزراعية التي يقودها حاليا في امارتنا الصغيرة ، انهما سيكتبان ، ولكن .. ألن يشيرا اليه والى مانعرف عنه نحن ، لا بأس ، ليكتبا عنه ولكن ليس كثيرا ، فنحن لانحب منصورا هذا ، لأننا نعرفه ، وليكتبا

عنه أكثر ، وليرسما صور استغلاله ، ولكن ، لم يرسما صورا كثيرة لقريتنا الصغيرة التي نحسب أنهما أحباها كما نحبها نحن ؟••

واذا أرادا « مصرين »الكتابة عنه ، فليجعلا نصف الكتابة عنا ، ونصف الكتابة عنه ، ونحن نريدهما ألا ينسيا صور قريتنا الصغيرة ، وصور القرى الاخرى التي هي قريبة من قريتنا ••

مضى الرجلان ، كما فهمنا ، وانقضى شهرا وشهران وربما أكثر ، فنحن لانحسب أيامنا بدقة ، اذ لاحاجة بنا الى هذه الحسابات ، ومعرفة أول الشهر وآخره •

وذات يوم قائظ ، لا أزال أذكره كلما تعلقت عيناي بصحيفة •• ذات يوم عاد الينا أستاذ قريتنا ، عاد من رأس الخيمة البلدة ، وهو يحمل بيده صحيفة قال عنها : انها صحيفة الرجلين اللذين زارا قريتنا قبل زمن ، واحتفلنا بهمـــا •

اذن فسنرى في هذه الصحيفة التي يحملها الاستاذ صور مناظر قريتنا ، وينابيع مياهها ، وسنقرأ ماكتب عنها ماكتبه هذان الرجلان اللذان نزلا قريتنا ، ولا نظن الا أنهما أحبا قريتنا ، والقرى المجاورة لها •• لاشك أنهما أحبا كل شبر في أراضي امارتنا الصغيرة «رأس الخيمة»•
انا سنرى مناظر قريتنا وقرانا وامارتنا ••

وسيراها كثيرون غيرنا ، ممن يقرأ هذه الصحيفة في بلاد غير بلدنا ، والتي يسكنها أناس يتكلمون لغتنا ، لاشك أن الاستاذ اللبناني الذي كان في مدرسة قريتنا والتي سافر الى بلده ، وقيل انه بقي فيها ، سيقرأ هذا ،وسيسر جدا ، ألا يرى الارض التي عاش فوقها شهورا طويلة ألن يذكر ينابيعها والجبال المحيطة بها ؟ انه سيفخر اذ يرى ذلك ، ويرى أن بلدتنا الصغيرة في امارتنا الصغيرة قد كتب عنه في الصحف التي تطبع في غير هذه الامارة الصغيرة •

لنسمع ماكتبه هذان الرجلان عنا ، ومارسما من مناظر امارتنا الصغيرة ••

هات يا أستاذ : اعطنا الصحيفة ، لنرى مافيها ، اقرأ لنا واسمعنا ، لانريد لواحد منا أن يستأثر بالقراءة ،اقرأ ونحن نستمع اليك ••

ولكن مابال الاستاذ يشد بيده الصحيفة ، وكأنه لايريد لأحد منا أن يراها ، هل يريد لنفسه الانفراد بالمناظر ، والتمتع بالقراءة ••• لا لن تحرم ونفوســنا من ذلك ، سنرى مناظر قريتنا وامارتنا ، وسنقرأ ماكتب عن امارتنا وعن قريتنا ••

ـ هل لنا أن نرى صور قريتنا وقرانا وامارتنا ، هــل لنا أن نرى صورنا التي وعد ذلك الرجلان بوضعهــا في الصحيفة حين الكتابة عن قريتنا ؟ •
ـ أية صور ، أية مناظر •• هاكم •• انظروا ••
ماهذا ؟ منصور ، ولكن أين صور قريتنـــا وقرانا وامارتنا ، ليس هنالك غير رسم منصور ، ومزارع منصور واخبار نشاط منصور ••

ولكن لماذا فعلا ذلك •• ألم يعرفا من هو منصور ، كما نعرف عنه ، ألم يسألا عن منصور هذا ؟•
ألم يكلف هذا الرجلان نفسيهما عنــاء السؤال عن منصور ، ومن أين أتى منصور ، وكيــف كانت مزارع منصور •• لقد كان كل واحد منا على أهبة لتعريــف هذين الرجلين كل شيء عن منصور ••

ألم يلتقيا بمن يقول لهما •• ان منصورا هـــذا هو الضابط البريطاني هندكتون الذي قاد حملة الغزو على واحة البريمي ، وسلب أرواح عشرات الاخوة لنا ••

ألم يعرفاه ، اننا نعرفه ••• ونعرف كيف يعمــل كثيرون من هؤلاء الذين يحملون آلات التصوير ،وملفات الورق ، ويتركون أقلام الحبر تطل من جيوبهم ••
اننا نكرههم •• نكرههم •• نكرههم ••

محمود يوسف

اقوى من المنطق

« في القصص الشعبي لاهل اللاذقية ومعظم الشواطىء ، ان الصياد المحظوظ ، يفتح بطن السمكة ليجد .. خاتما ذهبيا»

قصة بقلم : رشيد عمري

السيارة تطوي الطريق بسرعة هائلة .. وهدير محركها المرهق بالحاح سعد على الوصول بسرعة ، يطغى على كل شيء في السيارة .. متجاوبا مع هدير اشد صخبا كان يدور في رأسه المتعبة التي اراحها على ظهر المسند ..

ـ هل هناك احتمال آخر ..

للمرة الرابعة يطرح هذا السؤال .. وتهز شقيقته رأسها دون أن تجيب ، وانما تهمهم بالفاظ خافتة غير مفهومة ... ولكنه لم يكن ينتظر اجابتها .. وليس بحاجة اليها .. ولم يكن في الواقع ليحدثها اكثر مما كان يحدث نفسه ..

ـ لا اعتقد ان هناك احتمالا ممكنا لم أفكر به .. اني احاول أن أكون منطقيا .. ان استجمع اشلاء منطقي الذي فقدته منذ عرفت حنان ..

بالامس وصلتني رسالة منها .. رسالة كتبتها بدموعها الشاكية .. انك سببت لي المزيد من الفضائح .. اصبحت سمعتي حديث كل شارع ، وكل بيت في بلدتنا الصغيرة .. الجميع يتحدثون عن حنان التي تلهو مع « الشامي المسلم » ... الاقاويل تطرق باب بيتنا بعنف .. ولا بد أن يفتح اهلي لها الباب يوما .. وكل هذا بسببك .. بسبب زيارتك الاخيرة ..

اتركني .. اني لاستحقك .. اني لن اسعدك .. دعني استريح .. ابعد عني وانسني .. دعني لمصيري ألاقيه لوحدي .. دعني اتعذب وحيدة ..

انها تسهب في وصف المشاكل التي سببتها لها .. ثم .. ثم تطلب مني ان اتركها لحالها .. كيف اتركها بربك ..

استمعي لي .. استمعي لي أيتها الاخت .. فقد مللت الحديث لنفسي .. اني أحاول أن اناقش الموضوع .. سأحاول أن أكون منطقيا .. أن أكون نفس سعد الذي تعرفين .. الانسان الذي لا يرى في الحياة الا ٢ + ٢ = ٤

قد تكون الضجة التي تحدثت عنها مفتعلة .. او على الاقل .. مبالغ فيها .. وقد تكون حقيقة واقعة .. بل ان هناك كثيرا من البوادر تدفع للاعتقاد بانها حقيقة ..

انها بلدة صغيرة .. وهي فتاة معروفة .. وأنا غريب عن المدينة .. اقضي معها أياما عديدة ، نتجول في كل مكان .. وبعد .. هل نطلب من الناس ان يغمضوا أعينهم

ولكن مالنا ولهذا .. لقد اخطأت ولا شك .. اخطأ كلانا .. ولكني .. ولا ادري لماذا .. مستعد للتصرف مرة أخرى وبنفس الطريقة .. اذا وجدت بنفس الظروف ..

ليلى .. اذا كانت الضجة والاحاديث غير مبالغ فيها .. فمعنى هذا .. معناه اني ، وببساطة ، قد اجرمت بحقها وشوهت سمعتها .. وبغض النظر عن كل اعتبار عاطفي .. فان احساسي بالمسؤولية يفرض علي ان لا استمع لكلامها .. هل يجوز لي ان اتركها تواجه العاطفة وحيدة ، واختفي من أفق حياتها لمجرد انها قالت لي .. دعني لعذابي .. لا .. ان هذا هو المستحيل بعينه .. ان تقدمي لخطوبتها رسميا .. ومهما كانت النتيجة .. سينقذ الموقف ولا شك ، سيحسن وضعها

حتما •• وسيعيد اليها اعتبارها الطبيعي في نظر اهلهـا والمجتمع ••

ولنفرض أن أهلها رفضوا طلبي •• وأنا اتوقع ذلك •• فماذا يعني هذا ؟•• لاشيء على الاطلاق •• لاشيء أكثر من استمرار الوضع السابق •• والعودة لانتظار الفرصة السانحة •• وهل حلمت يوما بأن يرحب اهلها بزواجها مني مع وجود هذا الحاجز الهائل •• فرق الدين •• كنت ادرك باستمرار •• وهي أيضا •• ان زواجنا لابد ان يتم بطريقة معينة اتفقنا عليها •• وحددنا موعدها التقريبي •• طريقة لاتفتقر اطلاقا الى تحـدي التقاليد •• بل ربما وصلت ذروة هذا التحدي ••وسنعود الى وطننا السابق •• وانتظارنا للفرصة الملائمة ••

اذن فالوضع لن يتغير اذا رفضوا •• وكل مافي الامر ان موقفها سيتحسن ، اذ سيتأكد الجميع ان « المسلم لم يكن ليعبث •• وانها هي •• ليست فتاة رخيصـة ••

ومع ذلك يبقى احتمال لموافقة اهلها •• ألم يتحدث أبوها يوما عن الفروق المصطنعة والحواجز التي خلفتهـا قرون الاستعمار •• ألم يسخر مافيه الكفاية من التقاليد البالية والافكار الطائفية •• ألم يقرر بالحرف الواحد •• « اني لن امانع في زواج بنتي ممن تشاء •• مهما كان دينه وملته •• »

وصمت برهة •• ينفث خلالها دخان سـيجارته •• ومرت دقائق صمت بطيئة ، طغى فيها صوت هدير المحرك على كل شيء ••

كانت نظراته البعيدة ، تتجاوز الشجرات التي تسارع الى الاختفاء على جنبات الطريق •• تتجاوز الاراضي الحمراء •• لتمتد الى الافق البعيد البعيد ••

وبنبراته الهادئة العميقة تابع ••

ـ نعم •• رغم كل شيء •• هناك احتمال آخر •• لماذا لا افترض ان حديثها عن الضجة او الاشاعات مبالغ فيه •• او •• او مختلق ••

حسنا •• لابد من افتراض هذا ايضا •• ولكن ماذا تعني بذلك ؟•• أليس هذا هو التعبير الانثوي الوحيـد عن دعوتها لي لاتقدم لخطوبتها ••؟ ألم تتحدث اكثر من مرة عن الزواج وعن لمس المسـتقبل اثناء زيارتي الاخيرة ؟•• لقد تكلمت اكثر من المعتاد عن اطفـال المستقبل ، وعددهم •• والبيت •• عن كل شيء ••

وهل يعقل أن تطلب مني ، وهي الانثى ، بشكل مباشر ان اتقدم لطلبها ••؟ مستحيل •• انها لن تقول لي تعال •• فكرامتها كانثى تأبى ذلك •• ولكنها تقول •• انك تسبب لي بعلاقتك المزيد من المشاكل •• اني اتعـذب بسببك •• اتركني •• اتركني لعذابي ••

وعاد الى صمته •• ينفث حلقات الدخان ويلاحقهـا بنظراته التائهـة وهي تتلوى لتهرب من شق الزجاج الامامي ••

ـ ليلى •• بربك •• هل هناك احتمال آخر ؟••

وفي هذه المرة أجابت ••

ـ سواء كان هناك احتمال أم لم يكن •• ان هي الا ساعات وتعرف كل شيء •• هل لك ان تريح دماغـك واعصابك •• ألم تكتف بالتفكير منذ الامس حتى اليوم؟ هل لك ان تفكر بشيء آخر ••

لقد سددت كل المنافذ •• وقلبت جميـع الاحتمالات الممكن تصورها •• ولكن••هل هذه هي كل الاحتمالات؟ انني لا أدري •• ورغم اني لا أدرك أي احتمال آخر•• الا انني لست ادري •• فالقدر دائما اذكى من الانسان واكثر اتساعا وعمقا من حدود عقله ••

وعنـدما يتعلـق الامر بانثى •• فاني لا اثق بنطق ٢ + ٢ = ٤ •• لأن حواء تجد دائما انه يساوي سبعـة أولا شيء •• أو ربما مليون •• ولكن ليس أربعـة في معظم الحالا ت••

وسار الصمت مجددا •• وبقي محرك السيارة يهدر ويهدر •• متجاوبا مع هدير اشد صخبا يعتمل في رأس سـعد ••

وكان لابد للتساؤلات من ان تجد الجواب ••

ولا بد للقدر أن يعلن انه اقوى من المنطق واوسع من العقل ••

ولا بد للقدر ان يعلن انه أقوى من المنطق واوسع من العقل ..

ولا بد للانثى من أن تؤكد مجددا ان ٢ + ٢ تساوي كل شيء .. الا أربعة ..

وفي غرفة حنان .. وفي منزلهم الذي اقتحمه بثقة وجرأة .. وجد الجواب ..

ـ اني لا اريدك .. اتركني .. دعني .. دعني لعذابي .. لماذا أتيت ؟.. لا .. لا تحادث والدي بالموضوع لانه ربما قبل .. ولكني أنا .. أنا التي ارفض .. نعم أنا ارفض لقد انتهى كل شيء .. لقد خطبت .. نعم خطبت لجورج ..

كانت تتحدث .. وهي تحدق بالارض .. كلماتها سريعة .. تلفظها بعنف بالغ وعصبية واضحة .. كانت كالمتهم الذي ارهقه التعذيب .. فبات يردد مالقنوه من اعترافات .. يرددها .. مهما كانت النتيجة .. فقط لينهي عذابه ..

ولفترة .. ظل سعد يحدق مبهوتا .. مبهورالانفاس .. ويردد بصورة آلية ..

ـ ماذا اسمع يا الهي .. حنان .. حنان .. ماذا تقولين ..

وكالمخبول ظل يردد ..

ـ حنان .. حنان .. ماذا تقولين بربك .. اني لا اصدق ..

ـ ولكني اقول الحقيقة ..

وحدق طويلا في عينيها ، كما اعتاد ان يفعل كلما استعصى عليه فهمها ..

ـ حسنا .. لقد بدأت افهم واسترد وعيي .. انك تذكرين الوقائع ، ولكنك لا تقولين الحقيقة .. أؤكد لك أولا ـ وعينيك ـ انك لن تنجحي بجعلي أكرهك او أنساك مهما حاولت ..

انك تحاولين عبثا ان تستغلي احساسي بالكرامة لتدفعيني لكرهك والابتعاد عنك .. وأنا مرتاح الضمير . لا .. هناك شيء آخر ..

اني لا اصدق ان حنان .. حنان التي طالما اكدت لي انها ستقطع اليد التي ستمتد لمصافحة جورج .. حنان التي باحت عيناها بالحب قبل لسانها .. حنان التي اعرفها .. لا استطيع ان اصدق انها كانت طيلة تلك الفترة مخادعة .. مستحيل ..

هناك شيء آخر .. نعم شيء آخر .. لابد لي من معرفته .. حنان .. بحق سعد ، وذكري ايامك معه الا ماذكرته لي ..

ولم تدعه يستمر اكثر .. وانما انفجرت تبكي بعصبية .. وعبر دموعها وكلماتها المتقطعة .. كانت تتوضح خطوط الموقف ..

ـ سعد .. انك تعرف كل شيء ، لن اخفي عنك شيئا بعد .. انت تعرف مركزك عندي .. وتعرف شعوري تجاهه هو .. ولن اجرؤ على ذكر اسمه امامك .. ولكنك تعرف ايضا .. يا الهي .. انك ستصدق حنان ولاشك كما اعتدت ان تفعل ..

انك تعرف والدي واخوتي .. انهم ثلاثة صغار ياسعد .. ثلاثة ربيتهم وكنت لهم بمثابة الأم .. هل اضحي بهم ؟..

ان والدي يخوض معركة فاشلة ضد التقاليد .. وضد نفسه .. انه ضعيف ، يحمل افكارا اكبر منه .. يتحدث عن الطائفية ويشتمها .. وهي تعشش بأعماقه ..

يتشدق دوما لافرق بين الاديان .. وانه لايؤمن الا بالانسان ، بغض النظر عن الدين .. ولكنه لم ينتصر على نفسه ..

لقد وصل صراعه الذروة .. وانهزم .. انه لايستطيع ان يقول لك لا .. « لا أقبلك لأنك مسلم » .. لن يقول هذه الكلمات مهما كلفه الامر .. لأنه سيفقد نفسه وهو يلفظ آخر حرف منها ..

وهو .. أيضا .. لا يملك الجرأة الكافية ليزوج ابنه « لمسلم » ، وان ينقد هكذا وببساطة على الدماء التي تجري في عروقه .. على مارضعه من اللبن ..

انه لايجد الجرأة ليتصرف وفق مايؤمن وينادي ..

انه جبان أمام نفسه رغم ارائه الجريئة •• جبان امام نفسه •• امام الافكار المترسبة في اعماقه •• وايضا امام الافكار المتحررة التي لايفتأ يرددها ••

انه يريدني ان ارفض •• انا •• نعم •• يطلب مني أن أرفض •• وهو يعرف عنادي لذا يتوسل •• ويهدد بالانتحار •• اؤكد لك انه جاد بأنه سينتحر اذا وافقت على طلبك ••

لقد جعلته أنت يتشدق بالمثاليات ويدافع عنها •• كان الكلام سهلا ، ومع ذلك فهو لن يتراجع عن كلامه •• ولن يجد في الوقت ذاته الجرأة على مواجهة الناس وقد خرج على تقاليدهم ••

انه ليس بطلا ، ليتصرف وفق ما ينادي به •• انه مجرد •• مجرد انسان عادي •• يعيش ازمة الصراع التي يمر بها جيلنا •• بين آراء متحررة ينادي بها •• وتقاليد تنتصر رغم كل شيء •• ولم يجد حلا الا أن يجعلني ارفض •• ان ارفضك انا •• والا •• والا فسينتحر قبل ان يقول لك لا •• او نعم ••

سعد •• هل استطيع بعد هذا ان اقول نعم ••واضحي به ، وبالصغار •• لا •• لامستحيل •• انت نفسك لاتريدني ان افعل ذلك ••

وتقدم جورج في الوقت نفسه •• اني سأقبله •• وقد قبلته بالواقع •• اني احقد عليه في اعماقي ••بل واكرهه •• ان كل ذرة من كرامتي تصب عليه شوطا من حقدي وكرهي •• انه الطريقة الوحيدة لاجعلك تكرهني •• لقد قبلت به وانتهى الامر ••

يالله •• لقد توقعت كل شيء •• الا ان تسمع مني هذه الكلمات ••

والآن •• ارجوك سعد •• ارجوك بكل ماتبقى لحنان لديك من أثر •• اكرهني •• احتقرني •• ابصق في وجهي •• ولكن لاتناقشني ••

وضاعت بقية الفاظها في نوبة من البكاء المستمر ••

وبقي سعد صامتاً •• يحدق بها ، ليلفها بنظراته الحانية •• يود لو يتكلم ولكن •• ولكن كرة كبيرة تسد حلقه •• غصة تملأ صدره •• تمنعه من الكلام ••

كم يتمنى لو يفجر هذه الغصة التي تتكور في حلقه •••وحاول مرارا أن يتحدث ، وصوته يختنق ، والكلمات تستعصي عليه •• انها تقف وراء سد من الدموع •• وهو لايريد لدموعه ان تنفجر •• ولن يسمح لها بحال من الاحوال ان تكشف ضعفه •• كان يشعل السيجارة ليطفئها ، ثم يشعل غيرها ••

وأخيرا •• وأخيرا وجد صوته •• وتحدث بنبرة لم يعرفها •• كان يتحدث من اعمق اعماقه ••

ـ كفى حنان ارجوك •• كفى •• ثقي •• وعينيك اني لن احتقرك او أكرهك •• أنت تعرفين هذا وتعشينه باعماقك ••

انك ستبقين حنان التي اعرف •• ذاك الجزء الحبيب من نفسي •• ستبقين اختا وصديقة •• بل فكرة رائعة اعيشها •• وسيبقى سعد •• سعد الذي تعرفين •• سعد الذي يسترخص حياته لقاء بسمة سعادة ترسمها شفتيك•

ابتسمي حنان •• ابتسمي اكثر •• حسنا •• لا أرجوك • •لاتقولي شكرا •• أنت تعرفين كم هي تافهة هذه الكلمة •• ابتسمي •• وهذا يكفيني ••

كانت اعماقه تفيض على لسانه •• وعيناه ترقب البسمة البائسة تنتزعها عبر دموعها •• ويده في جيبه تداعب علبة مخملية فيها هدية خطوبته •• التي طالما حلم بلحظة يقدمها لها فيها ••

ـ حنان •• طلب بسيط •• استحلفك بكل مقدس لديك •• بذكرى سعد واياملك معه •• الا مانفذته •• هذا الطوق البسيط •• انه لك •• لن يلبسه أي انسان سواك •• هل •

واحتبس صوته •• وكاد السد ينهار ••

ـ هل لك •• هل لك ان تقبليه من •• من أخيك ، هدية لخطوبتك •• ودون أن يستمع الى جوابها •• قام من مقعده •• ووضع العلبة في حجرها ، وغادر المنزل ••

وعلى الشاطيء الممتد •• كان سعد يسير محدقا بالامواج المتدافقة •• ويده تمسك خاتما للخطوبة •• لم يتح له أن يقدمه •• وسؤال يضج في اعماقه ••

ـ وهذا الخاتم •• ماذا أفعل به ؟؟؟

الا تعود؟ أو الشكوك

بقلم بولا يطار

قدر وكان
الحرمان
ما معنى
البعاد ؟

* * *

عتاب كبير
احمله لك في قلبي
يا من احببتك
ولا زلت تسكن
قلبي
اعتب عليك عتبى
لماذا وعدتني ؟!
لماذا لم تعد ؟!
لماذا ...!!

* * *

عتاب كثير
يضج به قلبي
الكبير
بدأ الشك فيك
يجتاح تفكيري
لم يعد حنانك
يكفيني
لا صمت عن هجرك
لأبرر بعدك
لأختلق الاعذار
لاقول : لا بأس
غدا يعود
هل تفهم !؟!
ان حبك في خطر
والخطر هو الشك المرير
لماذا ذهبت ؟!
وتركتني وحيدة
بلا أمل .. أيضا
لماذا وعدتني ؟!
لماذا لم تعد ؟!
لماذا..... !!

* * *

مقالة الظنون
اني اخشى على قلبي
وسوء الشكوك
وبعد المسافات
رغم الزمن البعيد
الذي صمد له
رغم العيون الحلوة
التي تعترض طريقي
فعيناك أملي
ومشعل بسمتي
ومطفئة حزني

* * *

كلما سرى اليأس
مع ليالي الطوال
عاد الشك
يصارع الامل
والوهم يزول
كالضباب مع آذار

هل تذكر آذار ؟
قلت : ستعود
ويومها لم تعد

* * *

وبعد سنين
بعد عمر حزين
بعد ذكريات
عدت ثانية
لتلقى فؤادي
ويتلقاك ودادي
بالحب والحنين
يومها :
مددت لك
راحة قلبي
وشلك نفسي
فابسمت
وابتسمت لك
أيضا من جديد
لكنك ذهبت
وقلت : ستعود ؟!

* * *

طال الانتظار
وبدأ أوار الشك
يجتاح روحي
عاصفا قويا ..
لماذا ذهبت ؟!
وتركتني وحيدة
بلا أمل
لماذا وعدتني ؟!
لماذا لم تعد ..؟!
لماذا .... ؟!!

* * *

مع ذلك
رغم الشك
والبعد والظنون
وسهر الليالي
انتظر اوبتك
بفارغ صبري

* * *

يالحبك ما اعمقه
احسه في قلبي
كالبو السحيق

اعـــلان مناقصة

نظرا للسرعة الكلية

تعلن مديرية التربية والتعليم في دمشق عن اجراء مناقصة بطريقة الظرف المختوم من أجل صنع ســـت خزائن لقسم الامتحانات وذلك يوم السبت الواقع في ٩٦٠/٣/١١ الساعة العاشرة تماما .

فعلى من يرغب بالاطلاع على شروط المناقصة مراجعة دائرة المحاسبة في مديرية التربية والتعليم بدمشق .

التاريخ ١ آذار ١٩٦٠

مدير التربية والتعليم بدمشق

اعـــلان مناقصة

بالنظر للسرعة الكلية تعلن مديرية المواصلات بدمشق بانها ستجري في الساعة العاشرة والنصف من يوم الاثنين الواقع في ١٩٦٠/٣/١٤ مناقصة على طريقـــة الظرف المختوم لأجل تقديم حجر اساس وحجر مكسر لطريق صحنايا ــ جديدة عرطوز .

الكشف التقديري ٥٠٠٠٠ ل.س
التأمينات ١٧٠٠ ل.س
مدة العمل ٩٠ يوما

جزاء التأخير ٣ بالالف من قيمة المواد التي لاتسلم في موعدها وعن كل يوم تأخير .

الاضبارة رهن اطلاع المتعهدين في مديرية المواصلات خلال ساعات الدوام الرسمي .

دمشق في ١٩٦٠/٢/٢٧

مدير المواصلات
عمر عدنان الشلق

بحث في الرواية ...

بقلم

وليد مدفعي

قرأت جميع المقالات التي كتبت عن أيام معه ، ولذا يمكنني ان اقول ايها السادة الادباء في العرف او النقاد اذا شئتم .. قد كتبتم كل الذي نشر تحت تأثير دوافع شخصية كانت تظهر واضحة بين الاسطر . وايها ما كان في المديح الذي عجزت عن بلوغه بردة شوقي ، وأيها ما كان في غير المديح قصر دونه هجاء الحطيئه قد أطال ألسنة الناس في حق الادب حتى ظنوا أن الذي لديهم من قلة في الادب هو خير من الشعور الذاتي الذي أطلقتموه في وجه الناس قسرا أو رياء بلا براهين .

انني احترم الدوافع التي املت عليكم كلماتكم في هذا الموضوع مهما كان نوعها ، لكني أسر في اذن القراء همسة ناعمة ، ليس لكم دخل فيها .. اعزائي القراء لاتصدقوا من كتب تحت تأثير الدوافع حرفا .

أعرف سلفا ردكم علي ، انني قد كتبت أيضا ففيم يصدقني القراء ؟.. لقد ظننتم حقا ونطقتم صدقا ، ولكن قرائي من النوع الذي اختاره بنفسي ولا يختاروني انفسهم وذلك بسبب ما أضمنه في مواضيعي من التفاهات التي لاتلائم الا قراء من نوعية معينة . ولا أقصد انني الان في سبيل مدح أيام معه او أنني في سبيل قدحه فما كنت في يوم أهتم بأحد السبيلين وهذا ماعنيته بالتفاهات وهذا ماقصدته بالقراء المخصصين الذين يفهمون تفاهاتي لانهم لم يشهدوا قلمي بدموع المديح او انه قد جف من لؤم الشتائم .

هؤلاء هم قرائي واعلم أنهم قلائل، لكني كنت موضوعيا فكانوا لي خير نصير لكي أكون موضوعيا .

أنت يا عزيزي القارىء الجديد الذي لم اختره ،وانما أتاني به تعرضي لايام معه فالموضوع ملفت للنظر كثيرا اعلم .. أنك لن تجد في هذا المقال المديح الذي يرضي تسامحك صديقا ، ولن تجد فيه الشتيمة التي ترضي غرور عداوتك . بل ستجد مقالا بعيدا عما ظننت ، مقالا سأبقى افخر به أن اربحني اياك وسأبقى افخر به ان اضاع قرائي كلهم .

ستقرأ نقدا وقد يحوي النقد نقضا وقد يحوي اثباتا ولكنه لا يحوي مديحا دون ترو ولا يحوي سبابا دون مناسبة فما أحوج المديح الى ايقاع هادىء ليأسر القلب وما أحوج الشتم الى مناسبة ليضفر القيد .

وكان لابد من هذه المقدمة اسوقها اليكم قبل ما أخوض في الموضوع لأن الاثر الادبي الذي بين يدي هو أيام معه ولم يعد سهلا ان يقف الناقد ازاءه موقفا سليما ، دون انزلاق فوق الورود التي رشقها المعجبون فهو لايأمن ان تحمل حروفه نشوة من عبيرها ، أو دون تمزق فوق الاشواك التي زرعها الحاسدون فلا يأمن أيضا ان يكتب بحروف مدببة وكلا الامرين ليسا احتراسا .

أيام معه أثر ادبي لاشك في ذلك ، لكن السؤال الحائر مازال حائرا فوق الشفاه يبحث عن جوابه ، ماقيمة هذا الاثر الادبي ؟

أكرر السؤال على نفسي بحثا عن جواب ، لأنني لم اقنع بما قرأته حتى الآن حول الكتاب ، وأجد من واجبي أن أقول ماوصلت اليه لأنه لم يقرر بعد ولأنه ذو مساس بموضوع القصة الطويلة في بلدي كيما تجد دربها الصحيح .

الهيكل

تحتاج الرواية كيما يشعر القاريء باحترام عميق لها الى هيكل أساسي يمكن ان ندعوه بالخطوط المجردة وهذه العبارة ترجمة غير حرفية لكلمة « الكروكي » او « البلان » ويمكنني أن احتفظ بكلمة هيكل واجعل منها اصطلاح ابعد التعريف التالي ..

يتألف الهيكل من الرواية من انتقال الابطال خلال الرواية نفسها ويمكن ان يلخصه شكل هندسي بسيط . وان الاشكال الهندسية التي تصلح لاقامة الروايات عديدة فقد تكون زاوية جادة او منقلبة او دائرة . وليست غايتي ان استعرض هياكل الروايات في العالم لكنه توضيحي لأقرر الآن هل احتوى أيام معه هيكلا أساسيا ؟ .. أم لا.

ان هيكل أيام معه واضح جدا وليس هذا الهيكل جديدا جديدا في الروايات انه ذات الهيكل الذي بني عليه احسان عبد القدوس قصته « النظارة السوداء » وهو نفسه الذي استعمله الدكتور عبد السلام العجيلي في اقصوصته الاخيرة « عذراء الرصيف الاسود » ولعل استعارة مثل هذا الهيكل لقصة قصيرة من الامور الشاقة لكيما تكون القصة منطقية ومتسلسلة بهدوء .

ولا اقصد ان الاثر الادبي ايام معه قد نقل عن النظارة السوداء او أن الاخير قد اخذ هيكله من مصادر سبقته .. انني لم اقصد شيئا من هذا القبيل لان الهيكل معروف جدا من قبل في قصص عالمية ومحلية . ولأن الهيكل الذي يتبعه الاديب قد يكون خافيا عليه نفسه ، ويظل ايضاحه من اختصاص الناقد وحده ، وهذا ما يجعل الاثر الادبي دوما في متناول يد الناقد ولا يجعل أبدا قلم الناقد في متناول الاثر الادبي .

كان الهيكل في أيام معه متصالبا يعتمد على الوقوف المتناقض بين البطلة والبطل حتى انهما كانا يتمركزان على طرفي نقيض . لقد بدأت الرواية تنساب فتقرب بينهما حوادث واسباب مختلفة وتم خلال ذلك احتكاك مستمر أدى الى تبني البطلة موقف البطل والى تبني البطل موقف البطلة المناقض لموقفه الاول . وهذا ما ابقاهما مفترقين في نهاية الرواية ، فكأنهما كما مثل الدكتور العجيلي في قصته نفسها قد مرا خلال تطورهما في نقطة التقاء واحدة هي نقطة تصالب خطين غير متوازيين . ولذا كانت نهاية أيام معه منسجمة مع الهيكل الاساسي الذي وضع من أجلها .

التعبير

غاية الاثر الادبي التعبير عن الوجود ــ الحياة واذا لم ينتبه القارىء عند نهاية الاثر الادبي الى فكرة قد تم وضوحها او استنتاجها من قبله فان الاثر الادبي يسقط في نظره .

في قصة الدكتور عبد السلام العجيلي كان التنافس بين البطل والبطلة حول فكرة .. الله معرفة او الله محبة .. وانتهت القصة بتبني البطل رأي البطلة ــ الله محبة ــ بينما تبنت البطلة رأي البطل ــ الله معرفة ــ .

أما في النظارة السوداء فانتهى البطل الى اللاخلقية بينما نجد البطلة قد آمنت بالخلقية الصحيحة .

دار البحث في أيام معه حول مفهوم الحب والعطاء في الحب وعلاقته بالفن والعطاء في الفن فقالت البطلة ريم ــ أنا اعلم ان الفن يخلد لكن زياد سيقدر في يوم ما ان الفن بدون حب عظيم لايكتمل .

بينما كان البطل زياد يعتقد ان الفن والحرية شيئان متلازمان ؟.. وكانت الحرية في نظره ان يملك تصرفه ازاء كافة القضايا حتى العاطفية منها . انتهت الرواية وزياد يؤمن ــ أرجوك لاتحاربيني بآرائي ــ وهو يقصد آنئذ ان الفن ممكن مع الحب ــ أما ريم نفسها في نهاية الرواية ــ الحب يزول والفن وحده يخلد .

لقد ضم الاثر الادبي التعبير عن اتجاهين متضادين فأيهما يا ترى كان غايته ؟ ..

اني لا اشك في أن أيام معه قد انتصر للفن وحده ولحرية الفنان لان الرواية عرضت كلها على لسان البطلة وقررت هي نفسها الخطوة الاخيرة المناقضة لخطوة

زياد وقرنت القول بالعمل وكانت هذه الخطوة هي ماندعوه بالقمة •

منطقية الانسياب

تتألف منطقية الانسياب في كل رواية من الحوادث والافكار التي تملأ الاثر الادبي لخلق ما يكفي من الترابط في الهيكل نفسه في انتظار الوصول الى قمة التعبير • وتشبه هذه الحوادث والافكار في تبريراتها جذور الشجرة المنسابة في باطن الاعماق فهي التي تعطي للهيكل قدرته على الوقوف بحسب ما تكون ذاهبة في العمق ومبررة للنتيجة الحاسمة •

لقد احتوى أيام معه اربعمائة صفحة للوصول الى قمة التعبير ولكن هل استطاعت الصفحات أن تقنعنا بالحتمية التي انتهت اليها القصة ؟ ••

لقد بقيت حائرا ازاء السؤال وتبين لي في النتيجة اني شعرت بالضياع والاضطراب اوضح مما شعرت به بضرورة حرية الفنان او عدمه • ان كوني مقتنعا بضرورة حرية الفنان او عدمه ليس موضع نقاشي انما اعني ان المبررات لم تكن كافية للوصول الى قمة التعبير الذي أراده الاثر الادبي •

رب قائل ان غاية الكتاب هي اثبات ضياع إنسان القرن العشرين ولكني ولو ردت علي الكاتبة نفسها بجواب كهذا فلن أقبل منها ذلك وسأقول لها واثقا أعيدي تلاوة الكتاب مرة ثانية •

لقد فشل الكتاب في منطقية الانسياب من وجهات نظر عديدة ففشل لاستخدامه حوادث جزئية ليست ذات قيمة في السياق العام • ترى لو حذفنا بحث الآنسة المهذبة ريم عن وظيفة ثم اشغالها وما تبع أثر ذلك من مناقشاة حول موضوع العمل هل كان يتغير أساس الرواية • لقد شعرت مرارا ان الحياة التي تحياها ريم لا يمكن أن تكون حياة وظفة مواظبة على االعمل ولا سيما عندما كانت تستقبل الضيوف وتذهب االى الخياط وتسهر حتى ساعة متأخرة من الليل ثم انها لم تقدم انطباعا واحدا عن مشاهداتها كل يوم خلال الذهاب والاياب واخيرا عندما أرادت أن تترك العمل تركته ببساطة ودون مناقشة وكان الكاتبة قد تضايقت في تلك الصفحات من كون ريم موظفة ففصلتها من الوظيفة بجرة قلم •

وفشل الاثر الادبي نتيجة تجميع حوادث متشابهة بغية التقاء االبطلين حتى غدت اجتماعاتهما مملة ولم ادر اذا كانت تلك الاجتماعات قد أملتها ضرورة رواج الكتاب حيث أن العالم يحب المحبين ويحب استراق السمع والنظر اليهما •

كان من الممكن أن يختصر نصف الحوادث وتختصر وتختصر بالتالي الافكار الكثيرة التي بعثرت يمينا وشمالا وهي لا تمت الى محور الرواية بصلة ابدا والاقتصار فقط على المناقشات ذات الصلة بفكرة حرية الفنان وما يتبعها نسبة لنفسية أبطال الرواية من أحاديث عن الموسيقى واعلام الموسيقى والثقافة وما شابه من المواضيع التي أوردها الاثر الادبي فيأتي أكثر انسجاما •

ان البراعة ليست في ايراد كل ما نعرف أو كل ما يمكن حدوثه في يومنا انما البراعة تكمن في عملية الاصطفاء التي تجعل وحدها الاثر الادبي منهجيا مقبولا غير ممل أبدا •

اشخاص الرواية

ان اختيار أشخاص الرواية تابع للهيكل النموذجي في الاثر الادبي ولذا فأن الجدل بين البطل والبطلة حول مفهوم الفن وحرية الفنان يعني قصرا كونهما فنانين ولا يحتاج هذا الامر الى شيء من الذكاء بقدر ما تحتاجه رسم الخطوط الموضحة لشخصيتهما •

ان شخصية الآنسة ريم واضحة المعالم بعد القسم الاول وهي مشوشة مضطربة أكثر ما يمكن في الصفحات الاولى مع تناقض غريب الشكل فبينما هي تتحدث عن الملل والكبت والفراغ ومنعها من الدراسة أراها بعد صفحات قلائل تعرف نصف سكان دمشق ان لم نقل

كلهم •• فالوزير يهديها تحياته والموسيقى وبائع الورد ثم أنها تعـرف النوادي والمقاهي ولها أصـدقاء حتى في بيروت نفسها وتحضر في الجامعة هناك لـكن الوالد لا يريد أن تدرس أبدا •

كانت الـكاتبة كـلما احتاجت الى صديق أدخلته في سياق القصة دون تمهيد « سلم علي فلان وكنت أعرفه سابقا » كنا نقبل بذلك لو لم تحاول ريم أن تعرض لنا حياتها منذ سن السابعة عشر • لكنها وقد فعلت أصبح من الواجب عدم قبول أي تطور اعتباطي غير مدروس على أساس أنه موجود من قبل•ولقد أغفل الاثر الادبي قيمة فقد الوالد مع أنه من الامور الهامـة في حياة كـل انسان ويصيب الافراد بظفرة في التطور •

كان البطل زياد واضح المعالم لكنه نسخة طبق الاصل عن الآنسة ريم في أكثر طباعه وكأن ريم نفسها تجاوب في الحالتين • ثم أنه لم يكن فنانا موسيقيا بل كـان فنانا اديبا ولا أدل على ذلك غرفته المليئة بـكل ما ينتمي الى الادب عدا الاسطوانات وتماثيل موزارت وبيتهوفن وما شابه مما يوجد في غرفة فنان موسيقي ولقد قـال نفسه عندما تبعها عائدا من دمر ـ لم أعد أستطيع حصرأفكاري ومتابعة الكتابة فرميت أوراقي الى جهنم في صفحة (١٤٢) فـكان أعطاؤه صفة الاديب الفنان أولى ن اعطائه تلـك الصفة المفتعلة ولا سيما أن الملحنين في بلـدي أبعـد ما يكونون عن الشخصية المرسومة في القصة فكان واضحا أنه خيال مستورد من الخارج ولكنه خيال مترد فـكان يدخن الغليون أحيانا والسجائر في أحيان أخرى •

هؤلاء هم أشخاص الرواية الذين اعتمد عليهمالهيكل مباشرة أما الآخرون فكانوا ينتمون الى منطقية الانسياب في الحوادث والافكار أي أنهم كانوا أشخاصا جانبيين •

كانت شخصية العم والجدة واضحة وكذلك السيدة الثرثارة سناء انما غاب الوضوح اهمالا أو عجزا عن بقية الاشخاص الذين كانوا يظهرون ويختفون دونما مبررات كافية وكأنهم دمى تتحرك بـلا احساس لاتمام المناقشة فقط وما كان أبعد السيدة ناديا وقد تخطت الاربعين عن الافكار التي كانت تنطق بها اللهم الا اذا كـانت عانساً ولكنها قد متكزوجة الخال • ثم اختها رانية التي لـم تتطور أبدا ولم تشكل أية عقدة في الرواية على الرغم من وجودها في المنزل دائما •• ولا أدري اذا كان ذلك راجع لاختفائها عند الضرورة لقـد شعرت أن رانية لا توجد الا في خيال ريم • ونصل أخيرا الى سوازن التي استطاعت أن تجتذب اليها الموسـيقى الحسـاس البارع الذي يقدر الفن أن تجتذبه بصورتها وسخافتها مسجلة انهزام ريم •• انني لا أستطيع أن أقنع بانهزام ريم بعد ما عشقتها أنا شخصيا لمجرد ظهور سوازن الحلوة التي لم تستلفت نظري بتاتا • لقد كـان هناك تقصير واضح في رسم شخصية سوزان ولا أدري ان كانت الغيرة قـد أملته أو الاهمال •

السعة الزمنيـة

ان مـن بديهيات التأليف في القصـة الطويلة مراعاة السعة الزمنية وحركة الحوادث أو ما يمكن أن نسميه بالايقاع • فاذا اختل الايقاع ظهر الاثر الادبي مجموعة من الافكار المشوشة المضطربة التي لا ينظمها عقد •

اذا أخذنا قلماووضعنامنذ ابتداء أيام معه نقطة زمنية ثم تابعنا تلاوة الـكتاب مع تعيين الايقاع للحادثة في مجال الزمن وحتى لو تساهلنا أكثر من ذلك ولم نقطع ورقة التقويم الا عندما تستيقظ ريم مـن النوم أو تقول مـر يومان نجد ما يلي :

١ ـ استغرقت الصفحات القليلة الاولى حوالي سنتين بينما شغلت الاربعمائة صفحة سنة واحدة •

٢ ـ ان الفريد يعرب عن رغبته في العودة الى دمشق بعد سنة ولكن رسالة الاعتذار التي يرسلها الى ريم ليخبرها بعدم مجيئه تأتي بعد أكثر من عام

٣ ـ ان الفصول التي سبقت مجيء الفريد الىدمشق تحتاج الى مـدة زمنيـة أكثر من عشرين يوما محسوبة بعدد الحفلات والاجازات وبقاء ريم في البيت ثلاثة أيام وبناء على ذلـك فان سهرة عيد

الميلاد لم يعد في الامكان أن تجري في كانون أول بل في مطلع شباط ولا دخل لي أنا شخصيا في هذا الامر .

٤ – ان زيارة الدكتور عدنان يجب أن تتم قبل الذهاب الى الدائرة .

٥ – يقوم زياد بتزرير معطفه في حزيران .

الاقليم

اقصد بالاقليم كل الامور المتعلقة بالجو العام سواء كان ناتجا عن البيئة نفسها أو ما كان متعلقا بالحالة الجغرافية والتصوير النفسي للحظة وردود الافعال . ان هذه القضايامن الاهمية بحيث تعطي للقارىءالاحساس الذي ننتخبه له لا شك في كون هذه الامور نفسها متشابكة تتبادل خلق الانفعال .

لم ندر شيئا عن البيئة التي عاشها الفنان ولذا فاننا لا نستطيع أن نحكم على منطقية ردود أفعاله أم لا ؟ أما البيئة التي عاشت فيها ريم فمتناقضة مع تصوير بعض الامور والحوادث في القصة وهي تبدو لنا متمزقة وكأن القسم الاول قد كتب وحده في مدة زمنية بعيدة ثم كتب ما تبقى من الرواية في مدة ثانية بعيدة عن الاولى .

ولا شك أن الاثر الادبي قد أعطى جوا عاما تكاتفت فيه الحالة الجغرافية أحيانا مع نفسية الابطال مع البيئة الاصيلة فنتج عن ذلك ارتياح في فهم اللحظة .لكن الجو العام الذي عرضته القصة مقتصر على اعداد قليلة من الاسر الارستقراطية التي لا يمكن ان تمنع فتياتها من متابعة العلم أو الانصراف الى هواية فن من الفنون بل تفخر بنتاج أولادها حتى ولو كان الرقص على البارد .

انني لا آخذ على هذا الكاتب تصويره جوا مغلقا لا تشترك فيه أغلبية سكان دمشق لان الهيكل الاساسي مع التعبير يفترض جوا ارستقراطيا تنمو فيه تلك الافكار ثم أن الجو نفسه موجود في دمشق بالفعل .

الاسلوب

ننتقل الآن الى ناحية هامة من نواحي العمل الادبي الذي تتوقف عليه مشاركة القارىء مع الاديب كليا فلا يكفي أن نعرف كيف تكتب القصة الطويلة انما نحتاج الى اسلوب فني أيضا . وهذا لا يمكن أن يدرس نظريا اذا لم يكن في دم الاديب يخفق مع خفقات قلبه .

احتوى الاثر الادبي شيئا من الوصف وكثيرا من التحليل النفسي لردود الافعال وكثيرا من الحوار .. واعتمد الفاظ الصحف اليومية في أحيان ولم يقصر بفيضان من اللغة الشاعرية في أحيان أخرى . كان فيه طلاوة مستحبة ولا سيما في مقاطع حوارية برمتها .. انما لم يكن يبحث عن اللفظة الانيقة دوما .

لقد أعجبتني قطعة الحنين الى الوطن وأعجبني التساؤل في مرحلة المقارنة بينها وبين التركية المسلمة هذا التساؤل الجميل حول عقدة الدين بلغة شاعرية ولكني أود أن أذكر الآنسة المهذبة ريم كيف تترك زياد لتبحث عن وجوه جديدة في أوربة ؟ كيف تتركه لتلحق بالفريد ؟ هل شارك الفريد أو أي وجه جديد في اوربة تغني الآنسة ريم بامجاد امة واحدة ؟ .. فكان من المعقول أن يفتر حبها لزياد وان تتركه انما ليس المعقول أن تنسى منولوجها حول التركية .

هذا هو كتاب أيام معه .. كما رأيته تماما .. ولا يهمني أن أناقش صواب الافكار التي عرضت فيه أو خطأها لكني أقول شيئا بسيطا انها لم تكن أفكار عميقة لانها لم تحاول أن تخرج عن دائرة العواطف الاولى الرتيبة في الحب وغير الحب لتغوص ضمن أعماق النفس البشرية وما تحمله النفس من جذور تشدها الى صراخ الغاب وتكبلها بين فكرة الوجود والعدم ونقطة الترائي الضيقة التي تبتلع البحر عند هيجانها . ان أفكارا من هذا النوع كانت منطقية البحث ضمن هذه القصة بالفن وكون أبطالها من بيئة مثقفة تستطيع أن تناقش مثل هذه الامور دون ارتباك حول الافكار الفلسفية التي نطقت بها البطلة

أو البطل .

ياقارئي الجديد الذي حمله الي التعليق على كتاب أيام معه،قد راقبتني كفاية فاسمح لي الآن بعد ما ارهقت نفسي بالموضوعية أن أتخطى الاثر الادبي لأصل الى صديقتي في أيام الدراسة فاصافحها مهنئا اياها لانتاجها قصة طويلة واسمح لي أن أعدها بكتابة مقال اطنب فيه المديح وأغدق الثناء أولا تستحق صديقة الطفولة هذا الشعور ؟ ولا سيما عندما تكون الصديقة السيدة كوليت نفسها ؟ . لا تجب أيها القارىء .

وانني أعرف جوابك ياصديقتي .. انه كتاب جديد وقول رفيق مشفوع بابتسامة..أو ليس هذا هو الجواب؟



«الصراع الابدي»

«مسرحية من أربع مناظر» بقلم : شوقي محمد عرفات

المنظر الاول

(المسرح يسبح وسط موجة من الاضواء الخضراء الملائكية يدخل جانبه أحد الملائكة فيلتقي بآخر)

الاول : مرحبا ... مرحبا أيها الأخ الكريم ...

الثاني : مرحبا بأخي الاكبر ...

الاول : كيف اصبحت اليوم ؟.. هل اتقنت عملك؟ أم لازلت تجد الصعاب ؟..

الثاني : لقد فشلت اليوم ولم أوفق في عمل واحد ..

الاول : هون عليك ... فانك لازلت في بداية الطريق ...

الثاني : ما أشد خوفي على مستقبلي .. لقد وضع الله في عنقي امانة كبرى .. وأخشى أن لا اصلح لتنفيذ رسالته .. وصون امانته

الاول : ألست مؤمنا برسالتك ؟

الثاني : كلي ايمان بها ... ولكن ..؟

الاول : ولكن ماذا ؟.. يا عزيزي ... ان الايمان قوة .. ان الايمان هو السبيل الى النصر .

الثاني : ولكني خائف ...

الاول : كلنا كنا في بداية العهد خائفين .. ولكن الله بث فينا من قوته .. فبدد خوفنا ..واصبحنا نسير في طريق الخير بقوة فأصبحت كفتنا راجحة ..

الثاني : انك أخ كريم وملك رحيم .. حنكتك التجارب .. واضفت عليك السنون خبرة وتجربة .. فزدني من عملك وارشدني الى الطريق السوي ..

الاول : ابدأ يومك وكلك ثقة في نفسك .. واجعل نصب عينيك النصر .. وما النصر الا من عند الله .. امش بين الناس وانشر فيهم الخير .. وبدد الشر ..

الثاني : وكيف اسير بينهم وقد حرم علي أن يراني أحد ..

الاول : ان الله حرم عليهم رؤيتك ولم يحرم عليك رؤيتهم .. ولقد جعل الله بينك وبين قلوبهم صلة وثيقة .. فانشر فيهم الخير عن طريق قلوبهم وبدد الشر والفساد .

الثاني : وكيف يمكنني معرفة الشر ؟

الاول : ان دولة الشياطين تنشر الفساد والغواية .. ونحن في حرب معهم لن تستقر ولن تهدأ .. فالخير وهو دأبنا .. والشر وهو طبعهم في عراك مستمر .. وكل منا له رسالة يؤمن بها ويود أن يكسب هذه الحرب ..

الثاني : اذن فهي حرب شعواء والنصر فيها للقوى .

الاول : صدقت أخي .. هي كذلك ..

الثاني : وكيف نكسب هذه الحرب ؟

الاول : بأن ننظم صفوفنا .. ونرسم خططنا .. ونتدرب على المخاطر ونهدم آمالهم ..

الثاني : وكيف نعرف ما يرسمون ؟

الاول : في كل دولة جواسيس .

الثاني : اذا فلابد أن نتجسس عليهم ..

الاول : هذا عين الصواب .. ابدأ عملك بالتجسس

عليهم ثم ابدأ في الكفاح •• وانصر الخير••
واجعل دائما الحق طريقك وترسم خطوات
السابقين •• وحاول أن تصل الى الهدف
قبل اعدائك ••

الثاني : نصيحتك خير معونة لي في رسالتي ••
فشكرا على معونتك القيمة ••

الاول : يسعدني أن أؤدي واجبي نحو أخ كريم••

الثاني : الى اللقاء ••

الاول : الى اللقاء أيها الاخ الكريم

« ستار »

المنظر الثاني

دولة الشياطين مجتمعة والكل يرقب وصول ابليس ـ
وفور وصوله يخر الكل ساجدين

الوكيل : كبير الافاقين •• والوغد اللعين •• ورئيس
الشياطين •• أبونا ابليس الكبير ••

« يجلس ابليس على مقعد الرياسة »

ابليس : اهلا بكم في دار الرياسة •• ومجمع الخسة
والدناسة •• في هذه الجلسة اود أن أعرف
مافعله كل منكم في الارض •• هل افسدتم
كعادتكم •• أم تركتم الرسالة التي فوضتكم
لها •• هل تركتم الرسالة التي تقلق بالي
وتؤرق مضجعي •• أود أن يدمة العالم
بعضه بعضا •• أود أن يفتك الابن بأبيه ••
أود أن تخون المرأة زوجها •• أود قتلى
وجرحى •• حرائق تقام •• منازل تهدم
•• الحقد •• الشك •• الضغينة •• الانتقام
•• الغواية •• هي سبيلكم لقلوب البشر••
أود أن اضحك •• فما ضحكت منذ الخليقة
•• ولن اضحك الا بفناء هذا العالم•• أنتم
عليكم الصغائر و ••• وأنا علي الكبائر ••
انني أبذل قصارى جهدي لقيام الحروب
بين الدول •• وأنتم عليكم قيام الحروب بين

الافراد ••

الوكيل : سيدي الرئيس •• كن مطمئنا •• فان
شعبك مخلص لمبدئه •• حريص على سمعته
ولن ندخر وسعا في سبيل ارضاء نفسك
واشباع شهوتك باخبار سارة ••

الرئيس : شكرا يا وكيلي •• ولكن •• ماعدد
الحضور ؟

الوكيل : تسعة اعضاء

الرئيس : ومن الغائب اذن ؟

الوكيل : انه شمهورش •

الرئيس عليه لعنتي وغضبي •• ان هذا الاجتماع
مقدس •• ولا بد أن يحضره الجميع ••

الوكيل : هون عليك يا سيدي •• فربما كان في
طريقه الينا ••

الرئيس : اذا فلنستعرض أعمال المجلس •• ليبدأ
أولكم ببيان اعماله

(١) : سيدي ان اعمالنا اصبحت تتطلب جهدا
ومشقة •••

الرئيس : كيف ذلك ؟ وقد عرفتك ماهرا

(١) : شكرا سيدي •• ولكن الملائكة ترفرف على
ضحايانا فتبعث في قلوبهم السلام والامن •

الرئيس : هذا ادعاء •• هذه خزعبلات •• يجب أن
ننتصر والا فغضبي ونقمتي •• كم عدد
ضحاياك هذه المرة ؟

(١) : واحدا ياسيدي ••

الرئيس : هل قتل ؟

(١) : بل انتحر ••

الرئيس : وكيف ؟

(١) : اغويته بأن يتسلى بالمقامرة فهواها •• ثم بدأت
أغريه بالاندفاع في هذا الطريق •• فتوغل
فيه •• وخسر ماله •• وسلب مال زوجته
ومجوهراتها ثم سرق خزانة الشركة التي
يعمل بها ••

الرئيس : ثم قبض عليه ؟

(١) : كلا .. بـــل انتحر .. انتحر خوفا من السجن وتخلصا من حياته التي بدأها كريما ومات وترك الحسرة والندم لاسرته ..

الرئيس : أحسنت يا بني .. ان عدد الضحايا ليس واحدا كما ذكرت .. بل اكثر من واحد .. فان الأسرة ستخوض غمار الشربمعوتتك .. اذهب واغو الزوجة بأن تسير في طريق الفساد ..

(١) : سأفعل يا سيدي ..

الرئيس : على فكرة .. هل لهذا المنتحر ولد كبير ؟

(١) : نعم ياسيدي ..

الرئيس : اجعله يشك في سلوك امه .. ثم اجعلـه يفاجئها ويقتلها

(١) حسنا ياسيدي وشكرا لارشادك ..

الرئيس : وأنت .. ماذا قدمت للشر ؟ «يشيرللثاني»

(٢) : قتلت خمسة وحطمت متجر ..

الرئيس : « يصفق طربا »..أحسنت يابني ..وكيف

(٢) : وجدت صاحب سيارة مزهو بنفسه .. يسير بسرعة جنونية وباستهتار .. فركبت رأسه وسألته .. ماذا لو اسرعت قليلا ؟ .. ألا تجد في نفسك الـــكفاءة ؟.. ان الطريق خالية .. فأسرع وأجاب النداء .. وأدركت أنه يمكن السيطرة عليه وأنه فارغ العقل ليس حكيما متزنا .. فزينت له السرعـــة في تهور .. فأسرع وأخذ يلعب بعجلـــة القيادة وتخبطت سيارته في الارصفة حتـــى قتلت في أقل من خمس دقائق خمسة رجال وأفقدت الكثيرين أعضاء الحركة والنشاط في اجسامهم .. فشلت حركتهم .. وعطلت اعمالهم .. واصبحوا من ذوي العاهات .

الرئيس : وكيف حطمت المتجر ؟

(٢) : في نهاية الشوط دخل بسيارته متجرا كبيرا فحطم زجاجه وزبائنه .

الرئيس : وهل فر ؟..

(٢) : لا .. بل قبض عليه ..

الرئيس : حسنا .. اذهب واجعل القاضي يرتشي .. ثم اجعـل النيابة تعارض حـــكمه .. وأوقع بين الجميع ..

(٢) : حسنا سيدي ..

الرئيس : « مشيرا للثالث » وأنت .. ماذا فعلت حتى تخلد في صفحتك عملا جليلا بالاضافـــة لاعمالك السابقة .

(٣) : لقد كنت أجوب المدينة باحثا عن ثقب انفذ منه الى قلب بشري .. وقد نلت ما تمنيت .. فقد سمعت رجلا يتحدث مع عالم بشأن وصيته يسأله النصح فيها لأنه يحس انه في آخر ايامه .. وعرفت أن هذا الرجـــل متزوج مع اثنتين .. واحدة مطلقة وله منها ثلاثة رجال .. والاخرى لازالت معه وله منها ابن وبنتان ..

الرئيس : حسنا يبدو أن القصة شيقه

(٣) : نعم ياسيدي .. فقد ذهبت الى المرأة التـــي تعيش معه وأخذت أوحي اليها بأن تقنـــع زوجها ليكتب لابنائه منها كل ما يملك لانهم لازالوا على باب الحياة وأمامهم مستقبـــل طويل .. وقد كان .. أخذت تبكي له مرة وتغريه بمفاتنها مرة اخرى .. حتى انصاع اليها ونفذ أمرها .. وخالف بذلك أقـل القوانين والنظم الانسانية .. « يصمت »

الرئيس : أكمل يا بني فاني شغوف لمعرفة النتائج ..

(٣) : ذهبت الى الاخوة الآخرين وبعثت في قلوبهم الشك والحقد .. فثاروا معارضـــين الأب ودارت بينهم وبين أبيهم معركة كلاميـــة انتهت باستعمال الاسلحة ووقع الأب قتيل ابنائـــه ..

الرئيس : وقبض على المجرمين ..
(٣) : نعم يا سيدي ..
الرئيس : اطربتني .. انعشت فؤادي .. هكذا يكون الاخلاص للعمل والمبدأ ان لك عندي مكانة عالية .. « ويشير الى الآخرين »
أما أنتم أيها الكسالى فاني اعرفكم..فأنتم يا من كلفتك بأن تجعل البشر يدمنون الخمر .. ماذا فعلت ؟..
(٤) : ذهبت الى مكاني المعتاد وجلست بجوار أحدهم فقدم لي الساقي كأسا ..
الرئيس : وكالمعتاد سرقت نصفه أيها الوغد .. انك لص كبير .. أدمنت الخمر فذهبت بعقلك كالبشر ..
(٤) : وحقك يا سيدي لقد تركتها .. ولكني افشل ولا اعرف لذلك سببا .. لقد حاولت جهدي فلم افلح مع معظمهم .. هذا احدهم مهموما لعزوف حبيبته عن ملاقاته وأخيرا حضرت فترك الي الكأس وانصرف معها .. وآخر هرب من زوجته لكثرة مطالبها وأردت أن أنسيه همومه .. ولكنها كانت اسرع مني الى قلبه فاعتذرت له تليفونيا فتركني واستعاذ بالله مني .. وهكذا كان مفلتا مني في كل مرة بشرى افلح في الايقاع به ..
الرئيس : عليك سخطي ونقمتي ..
(٥) : سيدي .. انني اعتقد ان الفشل مرجعه لامتلاء قلوب البشر بالخير عن طريق الملائكة .
الرئيس : رأيك صائب ولكنه تخلص جميل .. اذا كانت الملائكة تدمر اعمالك .. فذلك لأنك لست بارعا حتى تصل الى الهدف قبلهم .
(٧) : امنحنا فرصة اخرى .. سنحاول أن نصل الى الهدف قبلهم ..

الرئيس : هذه فرصتكم الاخيرة .. في المرة القادمة سأقصي الكسالى الى ساعة العبيد واستبدلهم بآخرين يصلحون لمثل هذه المهام العظيمة..
الجميع : السمع والطاعة « تسمع طبول »
الوكيل : هذا هو شمهورش في الطريق الينا .. ان الطبول تعلن قدومه
الرئيس : عليه سخطي وعذابي .. سأذيقه مر العذاب
الوكيل : ربما كان مكللا بالنصر ..
الرئيس : بهذا يتفادى غضبي ونقمتي
« يدخل شمهورش ويركع »
الرئيس : أين كنت أيها الكلب الحقير ؟..
شمهورش: عفوا سيدي .. لقد حاولت الوصول في ميعادي ولكني اعرفك تقدس النصر .. وهذا ما أخرني ..
الرئيس : اذا هل انتصرت ؟
شمهورش : في الطريق اليه .. فقد دبرت معركة حامية ..
الرئيس : اذا .. اشغف آذاننا بسماع معركة النصر التي خضتها ..
شمهورش : عثرت على اسرة تعيش في أمن واطمئنان .. افرادها زوج ورع .. وزوجة جميلة مخلصة .. لها اولاد تحبهم وتفني زهرة شبابها في خدمتهم .. وللزوج أخ لا يقل زهدا وايمانا بالخير عن أخيه..ولكنه اعزب ويعيش معهم في نفس المنزل .
« صمت »
الرئيس : أكمل فان القصة تبدو ممتعة ..
شمهورش : بدأت عملي مع أخو الزوج .. زينت له الفسوق مع زوج أخيه .. وبدأ يرى بعيني انه لا حياة له دون أن ينفذ هذه الرغبة الجامحة .. وبدأ يرسم الخطط وانا امهد له الطريق لكي يصل الى قلبها ثم يمتلك جسدها ..

الرئيس : ألم تفعل نفس الشيء مع الزوجة ؟..

شمهورش: حاولت وفي طريق الى النجاح .. وهذا هو سر غيابي .. لقد كان زوجها على سفر .. فبدأت عملي .. زينت لها الفسوق بأن أظهرت الشاب بمظهر الشباب الجارف الممتلىء حيوية ونشاطا .. ولكنها كانت تقوم الى صلاتها وتستعيذ بالله مني .. كنت أحترق في كل مرة .. ولكنني أعاود عملي والألم الشديد مسلط علي باستيعاذاتها بالله رب العالمين ..

الوكيل : لو عرف الناس اننا نقاسي مر الآلام باستيعاذاتهم بالله .. لا مطرونا وابلا من النار ..

الرئيس : ان البشر ضعاف .. ولا يفعل ذلك الا المؤمن الصالح .. أكمل يابني ..

شمهورش: لقد استطعت أخيرا أن أجذب نظرها الى صورة الشاب فأخذت تحملق فيها طويلا وكأنها في حلم .. واسرعت الى الشاب وسقته اليها وحياها .. فاحمر وجهها وكأنها أحست بسوء المصير .

الرئيس : هل حدث ما أتمناه ؟ ..

شمهورش: للأسف .. لقد دوى صوت القرآن قويا.. فاخذت أحترق كالشمعة وفزت بالهرب من هذا الجو الصالح ..

الرئيس : حسنا .. لم تصل الى النصر بعد .. ولكن .. ماذا انتويت أن تفعل في ايامك القادمة..

شمهورش: سأجعلهما يقعان في المخطور .. ثم أجعل الشك يمزق احشاء الزوج حتى يفاجئهما ذات يوم .. ويقتلهما ..

الرئيس : ثم يقبض عليه ويساق الى المشنقة ؟ ..

شمهورش: هذا ما فكرت فيه ..

الرئيس : اذا دعواتي لك ..

المنظر الثالث

« يفتح الستار على نفس المنظر الاول ، احد الملكين جالس على صخرة يسبح يدخل الآخر »

الاول : مرحبا بأخي الكريم ..

الثاني : مرحبا بك وبكرمك ..

الاول : لم تأخرت ؟ هل عاقك عائق ؟

الثاني : آسف فقد تأخرت لان طريق الشر بعيد..

الاول : هل سمعت حوار الشياطين ؟ .. هل عرفت ما يدبرون من شر وظلم لبني البشر ؟

الثاني : نعم أخي .. لقد علمت كل امورهم ..

الاول : اذا اسرع فربما سبقونا الى التنفيذ ..

الثاني : أخشى ذلك .. خذ هذا فيه جميع تفاصيل شرورهم .. وقد اخترت احدى المهام سأقوم بها بنفسي « يناوله كتاب »

الاول : أحسنت أخي .. وما هي وجهتك ؟

الثاني : منزل هادىء ترفرف عليه السعادة.. ولكن الشياطين تأبى الا أن تدمر هذا البيت ..ولا ترضى الا أن تسبح في دماء أهله ..

الاول : اذا اسرع فلا شك أنهم هناك ..

الثاني : ادعو الله لي .. فهذه أول تجربة لي..

الاول : كن واثقا من نفسك.. انك تسعى الى الخير .. ولن يقف في وجه الخير شيئا .. كن واثقا أن الله ينصر الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ..

الثاني : اشكرك على جميل مودتك وحسن ارشادك.

الاول : صحبتك السلامة أخي .. الى اللقاء

المنظر الرابع

« المنظر حجرة في منزل .. الزوجة تنظر الى المرآة وتعدل زينتها »

« تظهر صورة الشيطان في المرآة »

الشيطان : آمال .. آمال .. انظري الى نفسك ..

انظري الى هذا الجمال الطاغي•• هذهالفتنة المستترة •• كل هذا جواهر مدفونةوشباب مهزوم •• اظهري فتنتك •• تمتعي بشبابك اخرجي من هذا السجن وانطلقي الى عالم الحرية •

« يسمع دق على الباب »

آمـال : من الطارق ؟

محمود : أنا محمود ياآمال ••••

تفتح الباب فيخل الزوج »

محمود : ما هـذا ؟ •• مـاذا ارى ؟ •• مـاذا فعلت بنفسك ؟ •• لمن هذا الاحمر ؟ •• لمن هذا الزخرف ؟ ••

آمـال : لك يامحمود ••

محمود : حسنا ولكن ؟ •• من أين أتيت بهذهالثياب الغالية ••

آمـال : من أين •• من النقود التي أذخرناها ••

محمود : « يشـهق » التي أذخـرناها •• تنفقين مـا أذخرناه لاولادنا ومستقبلنا في مثـل هـذه التوافه •

آمـال : أنا لا يعنيني الا نفسي •• أريـد أن أتمتع بالحياة •• أشم عبيرها••وهل التمتع بالحياة معناه الزخرف والتزين بالحرير ؟ •

آمـال : نعم ••

محمود : هذا في نظرك أنت •• وعلى كل حال فهذه أموالنا وهي ملـك لـك ولي •• ومـا دام تفكيرك هكذا فهذا شأنك ••

آمـال : هل لك أن تلبس ملابس السهرة لنخـرج الى السينما ••

محمود : ماذا تقولين ؟ •• اتنوين الذهاب الى السينما •• ؟ ماهذا الـذي أسمـع •• انـه جنون وطيش •• أنت التي كنت تبكين وتنهين عن الذهاب اليها وتقولين أنها رجس من عمـل الشيطان •

آمـال : دعك من هذا •• فنحن في القرن العشرين

محمود : لا عشرين •• ولا واحد وعشرين

آمـال : ألن تأتي معي ؟ ••

محمود : أنا •• لا •• لن آتي طبعا لانه عندي عمل في الصباح ولا بد من نومي مبـكرا •• وما دمت لن أذهب فلن تذهبي أنت ••

آمـال : ها •• ها •• ها •• « تضحك في سخرية »

محمود : « بدهشة » لم تضحكين ؟ ••

آمـال : من قولك طبعا •• سأذهب ياعزيزي •• نم أنت •• أسعدت مساء•• «تستعد للخروج»

محمود : لن تذهبي الى السينما ولن تخرجي من هذا البيت الا طالقا ••

آمـال : أه •• ماذا تقول ؟ ••

« يدخل عادل اخو الزوج »

عادل : ماذا أرى••ما الذي دعاكما الى الشجار ؟••

محمود : لست أدري ماذا حدث لها••تود أن تذهب الى السينما •• لقد خرجت عن نطاق حياتنا المألوف ••

عادل : وماذا يمنع•• دعها يامحمود ترى الحياة•• هل لي أن أصحبها في ليلتها هذه ••

محمود : « بعد صمت وحيرة » ألا يمكن تأجيل هذه السهرة الى يوم آخر ••

آمـال : لا يمـكن لأني قد أعـددت نفسي لهـذه الليلة ••

عادل : اكراما لخاطري ومنعا لسوء التفاهم «يصحب أخاه بعيدا ويهمس في أذنه »

محمود : أرجو لكما ليلة ممتعة •• « يخرجان »

محمود : « لنفسه » لست أدري ما الذي غيرها وبدلها الى هذه الحال•• ماذا كان سيحدث لو انني تشبثت برأيي ••

الشيطان : ألا تدري •• أنك غافـل عما يصنعون •• انك مغفل كبير •• انك لا تدري من حياتك شيئا •• أنت ساذج •• فـكر قليلا •• مـا

الذي دعا أخاك لصحبتها •• ما الذي دفعه
للتوسط في خروجها•• لماذا خرج معها؟••
كل هذا يجب أن تفكر فيه أيها المخدوع••
محمود : عجبا •• كيف أغفلت هـذا من حسباني ••
الشيطان : خدعاك •• هتكا عرضك وشرفك في غيبتك
•• أنظر اليها كيف بدت في ملابسها لقـد
بدت جميلة •• زهرة ناضرة •• أنظر الى
أخيك••لقد كان الشباب يطفح من عينيه••
كلاهما شاب•• وكلاهما معجب بصاحبه••
وأنت •• أنت الشباب الراحل •• والرجل
الخاوي •• والماضي البعيد •• لم يعد لك في
قلبها الاذكرى لورد جف••وعطر نضب••
محمود : حقا لقد خدعت •• « يدور في وسط المسرح
كالمجنون »
أقسـم بالابالسـة لاقطعـن جسمهـا البض
قطعا •• أقسـم بالشياطين لاشوهن جمالهـا
ونضاراتها •• « يجري خارجا »
« طفل يدخل المسرح صارخا »
الطفل : بابا •• بابا •• الى أين أنت ذاهب؟ «يدخل
ثانيا »
« يمسك بأبنه ويخاطبه »
محمود : خارج أبحث عن أمك •• أبحث عن العاهرة
•• أبحث عن شرفي المسلوب •• « تبدو في
عينيه نظرة رعب »
الشيطان : ها •• ها •• ها •• يناديك بابيـه •• مـن
يدريك أنه أبنك من أخبرك أنه ليس ابنه
هو •• من يقيم لـك الدليل على أن هـذا
ولدك وفلذة كبدك •
« تتسع عيناه وينظـر الى الطفـل في ذهول
والطفل ينظر اليه في رعب »
محمود : من يدريني حقا •• انه ليس ابني •• مـن
يدريني •• أنه ليس فلذة كبدي ••
« تتسع عيناه أكثر »
« يلقي بالطفل بعيدا ويضحك في هستيرية »
سأقتلك •• سأريق هذا الدم الفاسد ••
« الطفل يصرخ » بينما يخرج من المسرح
ويعود بسكينة يلمع نصلها »
محمود : ها •• ها •• ها ••
الملك : « وقد ظهـر فجأة » قف •• لا تتحرك ••
ماذا ستفعل أيها المجنون أتريد قتل النفس
التي حـرم الله قتلها •• أتزهق روح ابنك
وفلذة كبدك ••
« يقف محمود ساهما وتتغير نظرته »
محمود : من يدريني أنه ابني ؟ •• « يخاطب نفسه »
الملك : ومن قال لك أنه ليس أبنك •• انـه ابنك
وفلذة كبدك •• كيف سمحت لنفسك أن
يـدلف اليها الشك في نسبه اليك •• كيف
تتخذ قرارا دون أدلة واثبات ؟ ••
محمود : زوجتي تخونني مـع أخي •• ياللعـار ••
يالسخرية القدر ••
الملك : حرام عليك •• تتهم أخاك وزوجتك بسوء
حرام عليك تسب نفسك وتقتل ولـدك ••
استعذ بالله واصبر عساهما يحضران ويظهر
لك الحق ونوره ••
محمود : أعوذ بالله مـن الشيطان الرجيم •• « يختفي
الشيطان »
الملك : تحقق بنفسك مـن كـل شيء •• لا تترك
لنفسك عنان ظنونها ووساوسها أذهب بنفسك
وانظر أين هما وماذا يفعلان •• واطرد من
قلبك الشك ولا تظن بهما سوءا •• ان بعد
الظن اثم ••
محمود : تعالى معي يابني ••
الطفل : أتذهب الى السينما ونلحق بماما ••
محمود : نعم ياولدي •• « يخـرج محمود ويطفيء
ضوء المسرح »
« لحظة في الظلام تدخل خلالها الزوجة الى

المسرح مسرعة وتضيء نوره »

آمـال : أشكرك يارب شكرا لا مزيدعليه••أحمدك اللهم حمدا كثيرا •• كيف سمحت لنفسي أن أخرج عن طوري •• هذا جزاء تهوري •• لو كان

الملك : لو كان رآكما لقتلـكما •• عجبا •• كيف تخـافين زوجك ولا تخـافين الله •• كيف تسمح لـك نفسك النبيلـة خيانـة زوجك وتشتيت اسرتك •

الشيطان : ماذا تنتظرين من رجـل هرم •• ماذا تبغين من عجوز ولى شبابه وأدبر •• انك جميلة وبجمالك تفوزين بكل شيء •• الشباب •• المال •• كل هذا سيكون تحت قدميك ••

الملك : وهـل نسيت أن الـذباب لا يقف الا عـلى القاذورات •• هل نسيت أنك بعملك هـذا ستركبين اثما وجريمة••ماذا سيكون مصير أولادك •• ان طلقك زوجك••ماذاسيكون مصيرك أنت••هل تظنين أن عادل سيتزوجك اسأليه ذلك وسترين الجواب ••

« يدخل عادل »

عادل : الحمد لله •• لقد ذهب ولم يراني••سيظل يبحث عنا طول الليل بينما نحن هنافي مأمن••

آمـال : عادل •• ماذا يكون لو طلقني محمود •• هل تتزوجني أنت ••

عادل : أنت أعلم الناس بأنني لن أتزوج ياحبيبتي•• وما الذي يدعوه لطلاقك طالما لا يعلم شيئا••

آمـال : عادل •• ما رأيـك في أن ترحل عن هـذا المنزل في الحال ••

عادل : ماذا تقولين •• أجننت •• انها فرصة العمر ولن تتاح مرة أخرى ••

آمال : ماذا تبغي مني ••

عادل : أحبك بل وأعبدك ••

آمـال : انك بذلك تخون أخاك ••

عادل : انه حمار كبير •• يهملك اهمـالا لا مزيد عليه •• وأنا •• أنا أحبـك وأعبـدك •• كانت فرصتي الوحيدة أن أختلي بك في أي مـكان لابثك غـرامي وشوقي •• وكانت فرصتي في أن أجلس اليك واخبرك بما يكنه لك قلبي وفؤادي ••

آمـال : « في انفعال » أه •• ياسافل الى هـذا الحد وصلت بك القحة أخـذت تغريني وتوغـر صدري على أخيك •• أخذت تبث سـمك قلبي وعقلي••أخرجتني عن الطور المألوف في حياتي وجعلتني لاول مرةأخرج معك•• كل ذلك كي تحطم هذا البيت وتجلس على أنقاضه •• اخرج من هنا في الحال ••

عادل : لن أخرج من هنا •• وسأحطم البيت عـلى رأسك •• « يجري خلفها فتدخل حجـرة أخرى وتغلقها »
افتحي الباب •• سأحطمه على رأسك ••

الشيطان : دبر الامر •• اذا كانت قد أذلت رجولتك فحطمها •• اذا كانت قد احتقرتك فاقتلهـا •• ولكن •• لاتقتلها أنت اجعـل اخاك يقتلهـا •• خبره انهـا كانت تراودك عن نفسك ••

الملك : أنت مخدوع يا عادل •• من قال لك أن أخاك سيصدق كل ما تقول •• من قال ان الشر محبوب •• عد لصوابك وحكم عقلك وابعد عن هذا الطريق •• تهدم سعادةأخيك •• تحرم أولاده من الحنان •• تضع نفسك هذا الموضع المشين ••

الشيطان : اهجم عليها •• انها تعبدك •• انها تحبك ••

الملك : الغرور ليس من طبعك •• استعذ بالله من الشيطان الرجيم •• أعد المياه الى مجاريها •• كن وساطة خير •• وتب الى الله •• (وأما من تاب وآمن فأجره على الله ••)

البقية على الصفحة (٦٤)



مرآة وريشة – دراسات

لممدوح مولود ـ المطبعة الشرقية بحلب ـ ٣٢٠ صفحة

الافكار التي تعيش في صدور الشباب وقلوبهم كيف تبدأ وتنتهي ؟ كيف يمكن للخواطر التي تعتلج في ضمير جيل ، ان تنبثق كالينابيع وتتدفق وتسيل •• اذا لم يتوفر لها شاب من هؤلاء الشباب يسجلها ويحفظها في كتاب يسميه (مرآة وريشة) •• ففي المرآة حياة جيل بأكمله وريشة تخطط هذه المرآة دروب تطوره وتكوينه ونضجه •

ولقد افلح الاستاذ الاديب ممدوح مولود في نشر هذا الكتاب الذي ضم الكثير من المقالات والقصص والدراسات الادبية • كتبها في مدد متفاوتة متباعدة فأثر ان يحفظها في كتاب • والملاحظ المدقق يلمح بعفوية وصدق وحدة التفكير لدى الكاتب رغم تنوع المواضيع ، ووحدة التعبير رغم تفاوت الزمن • فالفكر متسق منذ أول الكتاب حتى آخره • والتعبير ، من حيث هو اسلوب ومعان ، لاتفاوت يذكر فيها ايضا • والمبادىء التي يقوم عليها مثل هذا الكتاب ، هي مبادىء جيل يقدس حرية الفكر ، وحرية المعتقد ، وحرية التعبير •• وحرية الحرية من كل قيد وسد •

فحرية الفكر تتجلى في الحملة على كل طغيان يريد اعادة الشعب الى الاصفاد بعد ان عرف طريقه • وحرية المعتقد تبرز ليس في المشاعر الانسانية الخاصة التي يوطد لها الدين فحسب ، بقدر ماتبرز في التخلص من كل مايعيق الانسان المواطن مما لايعتقده ومن أجل الاعتقاد بسواه • وحرية التعبير لها اساس في أن الادب الحقيقي ملك للثقافة العامة ، والثقافة العامة رهينة بصدق التطور الاجتماعي ، والتطور الاجتماعي طريقه تحرر العقل من خرافات الماضي السحيق ، التي تسيطر على كل تصرف من تصرفاتنا ونحن نعيش حياتنا العامة والخاصة على السواء • أما حرية الحرية ، فان الحرية أكبر من القيود والحرية المنطلقة الى غاياتها ، هي العاقلة التي لاتدمر ولا تظلم •• ولكن عندما نضع الاسس والقيود ، تتكون ميدانا للطغيان الذي يميز فئة من فئة ، وكالعاصفة التي تطفىء شعلة الفكر المتوهجة •

ان الكتاب وثيقة من الوثائق التي مهرها جيل بدمه ، استطاع الاستاذ الكاتب ممدوح مولود ، ان يصور لنا ، لحظات القلق والصراع التي يعيشها جيلنا العربي المتوثب كما استطاع ان يرسم الطريق الى المدى البعيد • لقد كان دليله مرآة صافية ، وريشة رضعت من دم الحرية !

حمص : علي بدور

متى يعود المطر ؟

منشورات دار الطليعة ببيروت
٩٣ صفحة من الحجم الصغير

قصة بقلم : أديب النحوي

منذ خمس سنوات كانت تدور في الاوساط الادبية العربية معركة دون كيشوتية واسعة بين دعاة الادب للادب أو الفن للفن ، وبين دعاة الادب للشعب أو الفن المسؤول وكانت هذه المعركة تهدأ حينا لتثور أحيانا ثم تعود فتصطخب وتشتعل نيرانها ويتعالى الضجيج في حومتها • على أنها لم تثمر في النتيجة أي خير أو فائدة • لأنها كانت في أساسها معركة وهمية مصطنعة ، اذ أن انصار الطرفين ، هؤلاء وهؤلاء ، كانوا يختصمون حول وظيفة الادب وحقيقته دون أن يكون لدينا أدب عربي حقيقي نختصم حول وظيفته • ولقد ماتت المعركة بعد ذلك كليلة كئيبة ، لم يشيع جنازتها أحد • ولهذا لم تترك أي أثر وراءها بعد أن تناساها الناس بشيء من الملل •

تذكرت هذه الزوبعة وملابساتها ، وأنا أقرأ قصة «متى يعود المطر » التي كتبها الاستاذ أديب النحوي المحامي •• ثم قلت في نفسي : لو أن هذا الكتيب صدر ابان اشتعال تلك المعركة اذن لافاد في توضيح معالمها وحل بعض اشكالاتها • اذ أن دعاة الادب للشعب كانوا سيجدون فيه نموذجا ممتازا للانتاج الذي يريدون ، بينما كان دعاة الادب للادب سيجدون فيه سلاحا ممتازا ضد خصومهم •

فهو من وجهة نظر الفئة الاولى كتاب تقدمي يمس أخطر مشاكل الامة العربية وقضاياها كالوحدة والحرية والاشتراكية ، ويعرض قصة نضال قرية عربية مكافحة وراء هذه الشعارات المقدسة • وهو بالاضافة الى كونه كتابا تقدميا التزاميا مسؤولا ، يمتاز بأنه أدب ، لأنه كتاب واضح ومتماسك وسليم العبارة وخال من اللهاث •

وهو من وجهة نظر الفئة الاخرى كتاب رديء ، مسف ذو واقعية مهلهلة تصل بالقارىء من الملل ، وليس أدبا ، اذ أنه بعيد عن قيم فن القصة ، عاجز أمام متعة الفن وبهره ، خال من لمعة الابداع •

وعلى الرغم من أنني لست من هؤلاء الرجعيين ، فانني أقف في صفهم عندما أقرأ قصة « عندما يعود المطر » • وذلك لأنني أرى أن عرض المضمون القصصي التقدمي بأسلوب قصصي رديء ومهلهل يسيء الى القضية التقدمية بالغة • وهذه هي علة « متى يعود المطر » •

فهي قصة تقدمية كما قلنا ، تروي حكاية نضال قرية « التل الاسود » القريبة من حلب ، وتعلق أهل القرية بالوحدة والحرية والاشتراكية ، ومواقفهم من الاقطاعي اللئيم رضوان بك الغريب وصنيعته الشيخ أحمد امام مسجد القرية ، واعجابهم بالاستاذ حسن السعيد معلم المدرسة العربي الاشتراكي ، ومؤازرتهم لنضال الفتى المغوار ابراهيم العمر الذي يظل يتعلم ويكافح ويبشر بالاشتراكية حتى ينال اجازة الحقوق ويستلم وظيفة هامة في الاصلاح الزراعي ويعود الى القرية بعد هذه السنوات الطويلة من المحل والنضال والصراع ليتوج القصة بتوزيع أراضي الاقطاعي اللئيم على الفلاحين المناضلين •

قصة تقدمية كما ترون • لابل انها لشدة تقدميتها ذائعة معروفة لدى الناس جميعا • وهذا هو السر الاول في تهافتها • اذ انها خالية من الجديد او الطريف ، لاتعطي شيئا • لابل ان محتوى القصة معروف لدى القراء سلفا ، كحصيلة مستمرة لحوادث الصراع اليومية التي كانت تقع ، قبل الوحدة ، بين الحاكمين الرجعيين وبين أنصار العروبة الاشتراكيين ، متعلميهم والفلاحين •

أما الخيبة الثانية في هذه القصة التقدمية فمبعثها اسلوب الكاتب في السرد ، فهو اسلوب تبشيري يذكرنا بالكتب الدينية والارشادية التي تكتب للاطفال خصيصا ، وهو أسلوب لايرتفع أبدا الى مستوى القضية المحمولة في مساربه • وأكثر من هذا واشد ايلاما أن الطريقة التبشيرية كانت تتأزم أحيانا بين يدي الكاتب حتى تصل حدود

التبشير شديد اللهجة وهذا مايزيد في بعدها عن القصة كفن .

على أن مرضا آخر يكتسح القصة اكتساحا رهيبا ويدفعها الى مجالات المقال الخطابي دفعا عنيفا متواصلا. ويبدو ان السيد النحوي المحامي نسي نفسه حين كتب القصة فظن أن اسلوب المرافعات القضائية التي تضرب على مافي القلب من عاطفة ، أسلوب صالح في القصص . ولم يفطن الى تنافي ذلك مع القصة كفن بعيد عن المرافعات القضائية واللهجة الخطابية . يقول الاستاذ في الصفحة ١٧ من « القصة » :

كم كانوا يكدون ويكدحون طول العام أجراء عند المالك ، فلا يصلون الى آخر أيام الموسم ويجمعون الحنطة أو الشعير في البيدر أو يجنون القطن ويعبئونه في اكياسه حتى يحضر البيك ومعه سيارته ويأخذ كل شيء دون أن يستطيعوا معارضته .

كم كانوا يضطرون للذهاب اليه شحاذين ، يطلبون الصدقة من عطائه ورحمته ، فاذا شاء أعطاهم وان لم يشأ ردهم الى الجوع والحزن والتعاسة ، ثم الى البؤس والمرض واليأس من الحياة .

كم ذهب منهم الى السجن وهم يطالبون بأتعاب السنة التي أكلتها الديون الوهمية والفوائد المتراكمة المنظمة في دفاتر حسابات رضوان بك الغريب .

كم جلدهم رجال الدرك كلما تجرأوا واتفقوا على مواجهة البيك الظالم ببعض المطالب المتواضعة .

كم استعبدهم هذا الظالم ، واستخدم نفوذه لدى الحكومة من أجل سحقهم الى آخر ما هنالك من تساؤلات خطابية حماسية اصبحت مجموعة من جهة ، وتسيء الى القصة ــ كفن ــ من جهة أخرى .

ويظل الاستاذ النحوي يسير قدما مع حماسه الخطابي الغريب حتى يصل بقصته الى مواقف زرادشتية لايصدقها عقل ولا تستجيب لمنطق .. تصوروا شابا متعلما يعود الى قريته بعد غياب طويل ، فيستقبله أهله الفلاحون ويسألونه عن سر غيابه الطويل فيقول : « لماذا خلت حياتي هكذا فجأة من ينبوعها الدائم الذي كنت أشرب منه حب الارض والوحدة والحرية ؟.. هل بدأت نفسي تمل الكفاح الصعب وتميل للراحة والتمتع بالمباهج والمسرات ؟.. هل بدأت أجراس المجد تملأ بضجيجها أذني ؟ فلم أعد اسمع الشكوى الحزينة الصاعدة من أعماق أرضنا الجريحة ؟ » .

أليس مضحكا هذا الزرادشت الأبله وسط فلاحينا المعروفين بثقافتهم البسيطة وعاداتهم الريفية المعهودة . ألم ينتبه الاستاذ المؤلف الى مافي هذا الكلام من غرابة وشطحات وعبارات لايمكن حتى لمجنون أن يتلفظ بها في وسط ريفي ساذج الثقافة بدائي المعرفة ؟!

ان زرادشت يحتل صفحات كثيرة من قصة « متى يعود المطر » لابشطحاته الخطابية المصطنعة فحسب ، بل في أعماله أيضا . اذ أنه يندفع ــ وهو موظف كبير مهم ــ فيحمل المعول ويظل يحفر في الارض ، وهو يتكلم لايسكت ، ويحفر حتى يصل الى الماء في جوف البئر ، والفلاحون حوله يتفرجون ويثرثرون .. أين الواقعية يا أستاذ ؟.. ان في مواقف ابراهيم العمر ــ زرادشت ــ وأعماله وأحاديثه لايمكن ان تدعم القصة بالروح الواقعية ولا يمكن أن تغذي القصة بما في الروح الخيالية من متعة وجمال .

واذا اضفنا الى كل ذلك خروج المؤلف عن سياق القصة مرات عديدة « حادثة الصبية نجمة مثلا » وعجزه عن ربط الاستطرادات المقصورة بلهجة السرو العام ، أدركنا مدى عجز القصة وتهافتها وضعفها .

وان كان يشفع للاستاذ النحوي انها قصته الاولى ، فاننا لنرجو للقضايا الشعبية الحساسة الخطيرة أن تظل في معزل عن التجارب الاولى ، لعل قدسيتها تظل بذلك سليمة مصونة ، والا فان طوفان الادب الواهن الكليل سيلوث كل شيء « عربي » .

شريف الراس

الصراع الابدي

تتمة مانشر على الصفحة (٦٠)

عادل : ونعم بالله .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. يارب اغفرلي هذه الخطيئة .. يارب ارحمني برحمتك .. « ينادي آمال » آمال .. آمال .. هل لك أن تغفر لي زلتي .. هل لك أن تسامحيني وتعفي عني .. لقد اخطأت فهمك .. لقد حدت عن طريق الصواب .. سأخرج يا آمال .. سأخرج ولن أعود .. سأخرج لاكفر عن خطأي .. سأترك لكما هذا البيت لتسعدا به .. لم يعد مقامي هنا .

آمال : « تخرج » عادل .. رحمتك يا الله .. لقد انقلبت الشيطان حملا وديعا ..

عادل : كنت طائشا فزين لي الشيطان السوء ولكني وجدتك في طهر الملائكة .. اغفري لي .. وارحميني .. « يركع عند قدميها »

آمال : اطلب من الله الرحمة لنا جميعا .. ما أشد أسفي لما حدث .. أنا احب أخاك .. وأحب بيتي .. وأحبك كأخي ..

« يدخل الزوج منفعلا »

محمود : أين كنتما ..

آمال : كنا هنا طول الوقت ..

محمود : ألم تذهبا الى السينما ..

آمال : لقد ذهبنا ولكنا وجدناها مزدحمة فعدنا ..

عادل : « بارتباك وخوف » هل لي أن أقول شيئا ..

آمال : « بسرعة » يريد أن يقول بانه اقنعني أن أكون طوع ارادتك وانني لم اتصرف بحكمة الليلة .. وأعتذر لك يا محمود عن غلطتي فقد انتابني ضيق أردت له أن أرفه عن نفسي.. هل لك أن تسامحني ؟.. هل لك أن تغفر لي هذا الخطأ ؟

محمود : ومن لي في هذه الحياة غيرك .. أنت السند القوي ..

الملك : صدق الله العظيم ..

ستار

فهرس العدد